مفهوم الأمن في القرآن الكريم

د/أحمد بن محمد باطهف

من ١١٦٩ إلى ١٢٥٠

ملخص البحث

يُعدّ الأمن من أهم مقومات الحياة، ومن أعظم نعم الله على عباده، وبه تستقيم الحياة، ويصلُح أمر الدنيا والدين.

ويعرض هذا البحث لقضية تتعلق بهذا الموضوع؛ ألا وهو مفهوم الأمن في كتاب رب البريّة سبحانه وتعالى، إذ هو خالقهم وهو أعلم بما يصلح لهم أمر دنياهم، ويُحسن عاقبتهم، وفي هذا الكتاب العظيم إيضاح لأنواع الأمن ومقوماته وموانعه وثمراته.

ولذا فقد جعلت البحث على خمسة فصول: فالأول فيه تعاريف وحقائق، والثاني اشتمل على أنواع الأمن المذكورة في القرآن الكريم، وأما الثالث فتعرضت فيه لمقومات الأمن التي ذكرها الله عز وجل، وجعلت الرابع لموانع الأمن، وفي الفصل الخامس نتائج الأمن وثمرات تحقيقه.

وكان عملي فيه مبسّطًا مختصرًا حيث أذكر الآيات المعنيّة ناقلا بعدها ما للمفسرين من كلام فيها باختصار، ثم أربطه بواقعنا المعاصر لبيان الفائدة المرجوة.

ثم ختمته بذكر أهم النتائج التي توصلت إليها.

وأرجو أن أكون قد وُفّقت لإلقاء الضوء على ما يهم الباحثين في هذا المجال.

والله الموفق والمعين.

Search summary

Security is one of the most important necessities of life, and the greatest Yes worshipping Allah and upright life, and fit is Dunya.

This research presents a case involving this subject; but it is the concept of security in the book Lord Almighty ground, as is their creator and he know what works for them is their world, and improves their end, in this great book to clarify the types of security and sustenance and the impediments and fruits.

So search has five chapters: the first in facts and definitions, and the second included security types mentioned in the Qur'an, and the third was subjected to security elements mentioned by Allah almighty, and the fourth security barriers made in five chapter v the security results and benefits achieved.

When the process was simple shortcut where relevant verses mention vector then what commentators of talking with short, then tie it to the contemporary reality of the benefit statement.

Then I sealed it by mentioning the most important findings.

I hope that I have been able to shed light on what matters to researchers in this field.

مقدمة

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه واستن بسنته إلى يوم الدين. وبعد:

فإن الله أنزل كتابه العزيز هدى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[١] ، ونور: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ [٢]، وضياءً ورحمة: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[٣]، كما جعله تبياناً لكل شيء: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[٤].

فيه خيري الدنيا والآخرة، فهو صالح لكل زمان ومكان، ودستور حق وخير، من تمسّك به هداه الله وكفاه، ومن أعرض عنه قصمه وأنهاه، فيه خبر من قبلنا، وحُكْم ما بيننا.

ولما كان هذا الكتاب العظيم، وهو أعظم كتاب في الوجود، على هذه المكانة السامية الرفعية، والمكانة الخطيرة المنيعة، أردت في هذا البحث أن أسلط الضوء على موضوع من موضوعاته الكثيرة جدا، وهو موضوع (مفهوم الأمن في القرآن الكريم)، وتتفرع أهمية البحث عن أهمية الأمن في الحياة، فلا تستقيم الحياة على وجه هذه البسيطة دون إنعام الله على عباده

---

[١] سورة البقرة، الآية: ٢.

[٢] سورة النساء، الآية: ١٧٤.

[٣] سورة الأعراف، الآية: ٥٢.

[٤] سورة النحل، الآية: ٨٩.

بإيمان وأمن، وصحة وسعة رزق، فلا طريق كريم للحياة ولا سبيل قويم للآخرة إلا بمثل هذه النعم، وإذا اختل أحدها اختل جانب من جوانب العيش وضاق وتكدّر.

والأمن بوجوهه المتعددة، وأنواعه المختلفة مطلب لكل إنسان، بل ولكل كائن حي خلقه الله ﷻ.

فخَلْق الله يسعون لتوفير الأمن لهم ولمن يخافون عليه ويهتمون لأمره.

فإذا استتب الأمن ازدهرت الحياة، واطمأنت النفوس، واتجهت النفس البشرية الآمنة لإعمار الأرض، والسعي فيها، مؤمنهم وكافرهم، صغيرهم وكبيرهم، كُلٌّ بحسب ما يراه في الحياة، وبقدر ما يستطيعه فيها.

وفي الجانب الآخر إذا تسبب البشر في إخلال الأمن بمخالفتهم منهج الله القويم وطريقه الصحيح المستقيم اختلت الحياة، وعمّت الفوضى والدمار والهلاك والبوار.

فلا أمن بلا تحقيق لمنهج الله تعالى واتباع رسله صلوات الله وسلامه عليهم، ففي هذا الطريق خير الدنيا وسلامها، وصلاح الآخرة وحسن عاقبتها.

وقد كُتبت دراسات عديدة حول هذا الموضوع حاولت في هذه العجالة أن ألم شتاتها وأجمع متفرقها، كما أني حاولت الاستنباط من الآيات ما يلائم واقعنا المعاصر لعلها تسهم في دفع عجلة الأمن نحو الأمام، ولعله في هذا إضافة عما اطلعت عليه من الدراسات، كما أني حاولت الجمع بين أنواع الأمن المذكور في القرآن الكريم باختصار.

وانتهجت فيه ذكر الآيات المعنية ثم نقلت كلام أهل التفسير فيه بعبارة وجيزة تفيد الغرض، دون الإطالة والتوسّع.

فأسأل الله أن يديم نعم الإيمان والأمن علينا وأن يبسطها على بلاد المسلمين، ويجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يجعل هذا البحث خالصا لوجهه الكريم، وهو نعم المولى ونعم النصير.

والحمد لله في الأولى والآخرة.

الفصل الأول: تعاريف وحقائق

المبحث الأول: معنى الأمن في اللغة:

قال الخليل: "أَمِنَ: الأمنُ: ضدّ الخوف، والفعل منه: أمِنَ يأمَنُ أَمنًا. والمَأمَنُ: موضع الأَمن. والأمَنَةُ من الأَمن، اسم موضوع من أمنت"[١].

وقال ابن فارس: "الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما: الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سُكُون القلب، والآخر: التصديق. والمعنيان –كما قلنا– متدانيان"[٢].

وقال ابن منظور: "الأمانُ والأمانةُ بمعنى. وقد أَمِنْتُ فأنا أَمِنٌ، وآمَنْتُ غيري من الأمْن والأمان. والأمْنُ: ضدُّ الخوف...آمَنْتُه المتعدّي فهو ضدُّ أخَفْتُه. وفي التنزيل العزيز: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾"[٣][٤].

إذا فمعنى الأمن في اللغة ضد معنى الخوف، وهو سكون القلب.

المبحث الثاني: مفهوم الأمن في القرآن

لما للأمن من أهمية ومكانة في حياة الإنسان ورد ذكر كلمة (أَمِنَ) ومشتقاتها في كتاب الله الكريم في (٤٧) موضعًا[٥].

ومن هذه المواضع المذكورة في الكتاب العظيم يتبيّن حقيقة الأمن وأهميته ومفهومه في الكتاب العزيز، فمن ذلك:

---

[١] الخليل، العين، ٣٨٨/٨.

[٢] ابن فارس، مقاييس اللغة، ١٣٣/١.

[٣] سورة قريش، الآية: ٤.

[٤] ابن منظور، لسان العرب، ٢١/١٣ (أمن).

[٥] محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص١٠٣، ١٠٥، ١١٣، ١١٤.

١) أن ركيزة الأمن الأساسية في الدنيا والآخرة: اعتقاد الإيمان الصحيح بأنواعه المعروفة، والبراءة من الشرك بأنواعه، ومن أمثلة ذلك:

- قول الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[1]. قال ابن كثير: "أي: هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك، له، ولم يشركوا به شيئا هم الآمنون يوم القيامة، المهتدون في الدنيا والآخرة"[2].
- وقال السعدي: "﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟﴾ أي: يخلطوا ﴿إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ الأمن من المخاوفِ والعذاب والشقاء، والهدايةُ إلى الصراط المستقيم، فإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بظلم مطلقا، لا بشركٍ، ولا بمعاصٍ، حصل لهم الأمن التام، والهداية التامة. وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده، ولكنهم يعملون السيئات، حصل لهم أصل الهداية، وأصل الأمن، وإن لم يحصل لهم كمالها. ومفهوم الآية الكريمة، أن الذين لم يحصل لهم الأمران، لم يحصل لهم هداية، ولا أمن، بل حظهم الضلال والشقاء"[3].

٢) الأمن نعمة عظيمة يمتن بها الكريم سبحانه على عباده، فمن ذلك:

- امتنَّ الله على قبيلة قريش وسكان مكة بأن رزقهم الأمن في بلدتهم المباركة، وفي سفرهم خارجها، قال ﷻ في سورة

---

[1] سورة الأنعام، الآية: ٨١، ٨٢.

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣/٢٩٤.

[3] السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٢٦٣.

قريش: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ۝٤﴾، قال ابن الجوزي: "وذلك أنهم كانوا آمنين بالحرم، إن حضروا حَمَاهُم، وإن سافروا قيل: هؤلاء أهل الحرم، فلا يَعْرِضُ لهم أحد"[١].

وقال ﷻ: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾[٣].

ودعا خليلُ اللهِ إبراهيمُ عليه السلام للبلد الحرام ولساكنيه بالأمن، كما حكا الله تعالى عنه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾[٤]، وقال عزّ مِن قائل: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾[٥].

- **أنزل الله تعالى على المسلمين في معركتي بدر وأحد النعاسَ ليدخل الأمن في قلوبهم، قال عز من قائل في شأن معركة بدر:** ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾[٦]، قال الطبري: "﴿يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ﴾ يلقي عليكم النعاس، ﴿أَمَنَةً﴾

---

[١] ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ٤/٤٩٤.

[٢] سورة القصص، الآية: ٥٧.

[٣] سورة العنكبوت، الآية: ٦٧.

[٤] سورة البقرة، الآية: ١٢٦.

[٥] سورة إبراهيم، الآية: ٣٥.

[٦] سورة الأنفال، الآية: ١١.

يقول: أمانا من الله لكم من عدوكم أن يغلبكم، وكذلك النعاس في الحرب أمَنَة من الله عز وجل"[١].

وقال القرطبي: "في امتنان الله عليهم بالنوم في هذه الليلة وجهان:- أحدهما: أنْ قوَّاهم بالاستراحة على القتال من الغد. الثاني: أنْ أمَّنَهُم بزوال الرعب من قلوبهم، كما يقال: "الأمن مُنِيم، والخوف مُسهِر"[٢].

وقال تعالى في معركة أحد: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾[٣]، قال ابن كثير: "يقول تعالى ممتنا على عباده فيما أنزل عليهم من السكينة والأمَنَة، وهو النعاس الذي غشيهم وهم مستَلْئمو[٤] السلاح في حال هَمِّهم وغَمِّهم، والنعاس في مثل تلك الحال دليل على الأمان"[٥].

- امتنَّ الله على رسوله ﷺ وصحابته ﷺ بقوله: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾[٦]، فذكر الأمن لبيان أهميته ومكانته في حياة البشر.

يقول الراغب الأصفهاني: "أصل الأَمْن: طمأنينة النفس وزوال الخوف، والأَمْنُ والأَمَانَةُ والأَمَانُ في الأصل مصادر، ويجعل الأمان تارةً اسمًا للحالة

---

[١] تفسير الطبري ٥٩/١١.

[٢] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٧٢/٧.

[٣] سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.

[٤] المستلئم: لابس عدّة الحرب. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الاثير ٣٧٨/٢.

[٥] تفسير ابن كثير ١٤٤/٢.

[٦] سورة الفتح، الآية: ٢٧.

التي يكون عليها الإنسان في الأمن، وتارةً اسمًا لما يُؤْمن عليه الإنسان، نحو قوله تعالى: ﴿وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ﴾[١]، أي: ما ائتُمنتم عليه، وقوله: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[٢] قيل: هي كلمة التوحيد، وقيل: العدالة، وقيل: حروف التهجّي، وقيل: العقل، وهو صحيح؛ فإنّ العقل هو الذي بحصوله يتحصل معرفة التوحيد، وتجري العدالة وتُعلم حروف التهجّي، بل بحصوله تعلّم كل ما في طوق البشر تعلّمه، وفعل ما في طوقهم من الجميل فعله، وبه فضّل على كثير ممّن خلقه"[٣].

إذا فمفهوم الأمن في القرآن الكريم يتبيّن لنا من هذه الآيات وغيرها، ومن كلام الراغب – رحمه الله–، أنه مفهوم شامل لما تقوم به الحياة الدنيا، ويصلح عليه أمر الدين والدنيا.

المبحث الثالث: مفهوم الأمن في الأنظمة المعاصرة

تعرّف الأنظمة المعاصرة الأمن بأنه –عموما–: عكس الخوف، أي شعور الفرد بالاطمئنان والأمان، وهو يتحقق من خلال تحقيق أمن الدولة ككل، والغالب أن هذا المصطلح يُطلق عادة على الأمن القومي للبلد[٤].

والأمن القومي هو: حالة من الاستقرار تتمتع بها الدولة والنظام الحاكم، بحيث يمكن تحقيق النمو والتطور والبقاء لهذه الدولة. بينما نجد أن غياب الأمن يؤدي إلى تهديد بقاء الدولة وكيانها السياسي[٥].

---

[١] سورة الأنفال، الآية: ٢٧.

[٢] سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

[٣] المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٩٠.

[٤] انظر: صفحة منظمة طلاب العلوم السياسية على الفيسبوك متاح على الرابط https://ar-ar.facebook.com/permalink.

[٥] المرجع السابق نفسه.

ومن أحدث تعريفات الأمن في الأنظمة المعاصرة وأكثرها تداولاً، تعريف باري بوزان، أحد أبرز المختصين في الدراسات الأمنية، وهو يعرف الأمن بأنه "العمل على التحرر من التهديد"، وفي سياق النظام الدولي فهو "قدرة المجتمعات والدول على الحفاظ على كيانها المستقل، وتماسكها الوظيفي ضد قوى التغيير التي تعتبرها معادية"، لكن الجامعي الفرنسي داريو باتيستيلا يرى في تعريف بوزان تبسيطاً لمعنى تعريف آرنولد ولفرز لعام ١٩٥٢م، الذي نال نوعاً من الإجماع بين الدارسين، وهو يرى أن "الأمن موضوعياً يرتبط بغياب التهديدات ضد القيم المركزية وبمعنى ذاتي، فهو غياب الخوف من أن تكون تلك القيم محور هجوم" وهي تتمثل بـــ" بقاء الدولة، الاستقلال الوطني، الوحدة الترابية، الرفاه الاقتصادي، الهوية الثقافية، الحريات الأساسية"... [١].

ومن كل ما سبق يتضح أن مفهوم الأمن في الأنظمة المعاصرة يتفق مع مفهومه في القرآن بأنه ضد الخوف، لكن يلاحظ تركيز هذه الأنظمة على حصر الأمن في الجانب الدولي القومي.

المبحث الرابع: مقارنة بين مفهوم الأمن في القرآن والأنظمة المعاصرة

من المبحثين السابقين يتضح الفرق بين مفهوم الأمن في القرآن الكريم ومفهومه في الأنظمة المعاصرة، وهو حسب رأيي يتضح فيما يلي:

١) يركز القرآن الكريم على معنى شامل للأمن، فهو أمن الإنسان في نفسه ذاتها، وأمنه على دينه وأهله وماله وكل ما يهمه، بينما تركز الأنظمة

---

[١] انظر: د. خليل حسن، مفهوم الأمن في القانون الدولي العام، بحث منشور على الصفحة الشخصية للمؤلف على الشبكة العنكبوتية متاح على الرابط http://drkhalilhussein.blogspot.com/

المعاصرة على الأمن بمفهومه الإقليمي القومي، وحماية الدولة، وتغفل عن الأمن النفسي الداخلي.

٢) يربط القرآن العظيم بين الأمن والإيمان برابط وثيق، فلا أمنَ شاملاً بدون إيمان يكون سببا لأمن الإنسان في نفسه، بينما يكون رادعًا للمفسد عن فساده، ولذا قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[١]، كما يقرر المصطفى ﷺ هذه الحقيقة بقوله: «إن الإيمان قيد الفتك، لا يفتك مؤمن»[٢]، فالأمن مرتبط بالإيمان ارتباطا وثيقا، وبالتالي فالمؤمن آمن ومُؤْتَمن. ولو طُبّق شرع الله وحُكِّم دينه الحق والتزم العباد بالإيمان الحقيقي لانتشر الأمن وعمَّ السلام. بينما نجد أن الأمن في الأنظمة المعاصرة يهتم بفرض الأمن دون وجود وازع عقدي أو أديولوجي، ولذا فإن الرادع هو السلطة والقوة، فإذا ضعُفت هذه السلطة أو اختفت عمَّ الخوف وعُدم الأمن وانتشرت الفوضى.

٣) يسعى القرآن الكريم إلى إيجاد الأمن في النفس البشرية أولا فإذا تحقق ذلك انتشر الأمن في البلاد وعمَّ الدنيا كلها، ولذا جاء الإسلام بالتعامل بالحسنى مع الجميع، ونشر العدل والخير بين الخلق، فالأمن يبدأ من النفس فمتى ما أمن الإنسان أمن من حوله، وفاقد الشيء لا يعطيه. أما الأنظمة المعاصرة – بحسب ما فهمت– فهي ترى أن الأمن يبدأ من السلطة الحاكمة والقانون السائد.

---

[١] سورة الأنعام، الآية: ٨١، ٨٢.

[٢] أخرجه أحمد في مسنده ح١٤٢٦، ٤١/٣، وأبو داود: كتاب الجهاد، باب في العدو يؤتى على غرة ويتشبه بهم، ح٢٧٦٩، ٨٧/٣.

المبحث الخامس: مكانة الأمن في القرآن

يحتلّ الأمن في كتاب الله الكريم المكانة الهامّة العالية الرفيعة، ومن خلال بضعة آيات في الذكر الحكيم يتبيّن لنا مكانة الأمن فيه.

١) يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾[١]، ويقول عز وجل: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾[٢]. فذكر الله لا يتم إلا مع الأمن، فالأمن نعمة عظيمة ومنّة جسيمة، تقتضي مقابلتها بالذكر والشكر ليبقي نعمته عليكم ويزيدكم عليها[٣].

٢) يبيّن الله تعالى أهمية الأمن ومكانته ببيان حال أهل مكة وما كانوا فيه من الأمن، فلولا أن الله منّ عليهم بالأمن لما ارتحلوا في طلب الرزق في بقاع الأرض، إذا يقول عز من قائل في سورة قريش: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾ ، قال الجزائري: "﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ بما هيأ لهم من أسباب ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ كذلك، ولِمَ يعدلون عن عبادته إلى عبادة الأصنام والأوثان، فالله أحق أن يعبدوه إذ هو الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف بما ألقى في قلوب العرب من احترام الحرم وسكانه وتعظيمه وتعظيمهم، فتمكنوا من السفر إلى خارج بلادهم والعودة إليها في أمن وطمأنينة"[٤].

---

[١] سورة البقرة، الآية: ١٩٦.

[٢] سورة البقرة، الآية: ٢٣٩.

[٣] انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ١٠٦.

[٤] أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ٨١٦/٥.

وقال السعدي: "ثم امتنَّ عليهم بحرمه الآمن، وأنهم أهله في أمن وسعة ورزق، والناس من حولهم يتخطفون ويخافون، أفلا يعبدون الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف"[١].

إذا فالقرآن يقرر أهمية الأمن في حياة البشر، فإذا زال الأمن لم يستطيعوا الانتقال ولا الطعام ولا الشراب اللذان هما من ضرورات الحياة.

ولذا فقد قال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾[٢]، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾[٣].

٣) لا يستطيع الإنسان عبادة الله، ولا القيام بالاستخلاف في الأرض الذي مكّنه الله منه إلا بوجود الأمن، ويذكر الحق تبارك وتعالى ذلك في كتابه عند قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[٤]، ولا شكَّ أن استخلاف الإنسان في الأرض لعمارتها وإقامة الحق فيها من أهم المهمات وأوجب الواجبات، ولكنه لا يتم إلا باستتباب الأمن وانتشاره، فوعدهم الله هذه الأمور وقت نزول الآية، وهي لم تشاهد الاستخلاف في الأرض والتمكين فيها، والتمكين من إقامة الدين الإسلامي، والأمن التام، بحيث يعبدون الله ولا يشركون به شيئا، ولا يخافون أحدا إلا الله، فقام صدر

---

[١] السعدي، تيسير الكريم الرحمن ، ص ١٠٦.

[٢] سورة القصص، الآية: ٥٧.

[٣] سورة العنكبوت، الآية: ٦٧.

[٤] سورة النور، الآية: ٥٥.

هذه الأمة، من الإيمان والعمل الصالح بما يفوقون على غيرهم، فمكنهم من البلاد والعباد، وفتحت مشارق الأرض ومغاربها، وحصل الأمن التام والتمكين التام، فهذا من آيات الله العجيبة الباهرة، ولا يزال الأمر إلى قيام الساعة، مهما قاموا بالإيمان والعمل الصالح، فلا بد أن يوجد ما وعدهم الله، وإنما يسلط عليهم الكفار والمنافقين، ويديلهم في بعض الأحيان، بسبب إخلال المسلمين بالإيمان والعمل الصالح[١].

ففي هذه الآيات وغيرها ما يبين مكانة الأمن وأهميته؛ فلا دين ولا دنيا تستقيم إلا باستتباب الأمن واستقرار الأرض وذهاب الخوف من قلوب البشر.

---

[١] السعدي، تيسير الكريم الرحمن ، ص ٥٧٣.

الفصل الثاني: أنواع الأمن في القرآن

المبحث الأول: الأمن الفكري

تسمو الأمم وترقى بفكرها وثقافتها. وبقدر صفاء فكرها وصلاح ثقافتها يكون تأثيرها في البشرية تأثيرًا إيجابيًا، وأثرها باقيًا فعّالا.

ولذا كان أثر الرعيل الأول من أمة الإسلام في من حوله أثرًا جميلا باقيًا خالدًا؛ فقد غَزَوا القلوب والنفوس قبل غَزْو المدن والبلدان، ونشروا الحق والعدل والخير أينما حلّوا.

ومفهوم الأمن الفكري مصطلح برز في الواقع اليوم في مقابل التيارات والتوجهات والانحرافات الفكرية التي منبعها الفكر، وصار هذا المصطلح ذا أبعاد تشير إلى سلامة الفكر ليتحقق بذلك الأمن الذي يسببه الخلل في الفكر، ولا يخفى أن الأمن عند الأُطلاق ينصرف إلى الأمن الحسي المادي الذي يرتبط بالسُلْطة واستقرارا الأحوال عندما تُؤدى الحقوق والواجبات[١].

وقد عُرّف الأمن الفكري بأنه: إحساس المجتمع أن منظومته الفكرية ونظامه الأخلاقي، الذي يرتب العلاقات بين أفراده داخل المجتمع، ليس في موضع تهديد من فكرٍ وافدٍ، بإحلال لا قِبَل له بردِّه، سواء من خلال غزو فكري منظّم، أو سياسات مفروضة[٢].

ولما كان للأمن الفكري هذه المكانة الجليلة ذكره الله عز وجل في كتابه الكريم في مواضع، منها:

---

[١] سليمان عبد الله أبا الخيل، الأمن الفكري حقيقته وسبل حمايته، ص١٦.

[٢] انظر: موقع الدكتور محمد الحضيف متاح على www.alhodaif.com.

١) يعدّ الإيمان أساس الأمن الفكري وغيره؛ إذ يقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [١]، ومما لا شك فيه أن للإيمان وشعائره أثرًا في الوقاية من الأفكار الهدّامة[٢]، أما المشرك بالله فإنه فَقَدَ كل عناصر الأمن بأنواعه كما قال عز وجل: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[٣]، وافتقاد المعتقد الصحيح يجعل الإنسان عرضة لشرور العقل، وجنوح الفكر، وسيطرة الوساوس والأوهام، وتحكم العادات والموروثات، وبالتالي يفقد الإنسانُ الأمنَ الفكري[٤].

٢) الاعتصام بالكتاب والسنة من أبرز الأمور المعينة على الأمن الفكري، ففيه الوقاية من الانحراف الفكري والتأثر بالأفكار الهدّامة، يقول الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٥]، ويقول عز وجل: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[٦]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ

---

[١] سورة الأنعام، الآية: ٨٢.

[٢] عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، ٦١٦/٢.

[٣] سورة الحج، الآية: ٣١.

[٤] انظر: د. عبد البصير علي الحقرة، الثقافة الإسلامية ودورها في تحقيق الأمن الفكري في المجتمع، بحث متاح على موقع جامعة أم القرى على الرابط https://uqu.edu.sa/

[٥] سورة النساء، الآية: ١٣.

[٦] سورة النساء، الآية: ٦٩.

فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [١]، ويقول: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [٢]، ففي هذه الآيات وغيرها "بيان واضح لكل من أراد النجاة من الانحراف كله في جميه شؤون الحياة بأن نجاته مرهونة بامتثاله لكتاب ربه وسنة نبيه محمد ﷺ، ويفهم من ذلك أنه إن انحرف عنهما وأخذ منهجه من غيرهما لم يكن من الفائزين ولا الناجين يوم القيامة"[٣].

٣) لزوم الجماعة: قال الله ﷻ: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [٤]، قال ابن جرير: "وتمسكوا بدين الله الذي أمركم به، وعهده الذي عهده إليكم في كتابه إليكم من الألفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لأمر الله"[٥].

وقال السعدي: "ثم أمرهم تعالى بما يعينهم على التقوى؛ وهو الاجتماع والاعتصام بدين الله، وكون دعوى المؤمنين واحدة مؤتلفين غير مختلفين، فإن في اجتماع المسلمين على دينهم، وائتلاف قلوبهم يصلح دينهم وتصلح دنياهم، وبالاجتماع يتمكنون من كل أمر من الأمور، ويحصل لهم من المصالح التي تتوقف على الائتلاف ما لا يمكن عدّها،

---

[١] سورة النور، الآية: ٥٢.

[٢] سورة الأحزاب، الآية: ٧١.

[٣] د. عبد الحميد بن عبد الرحمن السحيباني، الانحراف الفكري وأثره في الأمن في ضوء القرآن الكريم، بحث منشور في مجلة العدل، العدد ٤١، محرم ١٤٣٠هـ، ص٤٥-٤٦.

[٤] سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

[٥] محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط١، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ود. عبد السند يمامة، (القاهرة، دار هجر، ١٤٢٢هـ)، ٦٤٣/٥.

من التعاون على البر والتقوى، كما أن بالافتراق والتعادي يختل نظامهم وتنقطع روابطهم ويصير كل واحد يعمل ويسعى في شهوة نفسه، ولو أدى إلى الضرر العام"[١].

٤) ملازمة العلماء الربانيين والالتفاف حولهم: ولا يجحد دور العلماء ومكانتهم إلا جاحد أو حاقد، ففي التأسي بهم والاستفادة من علمهم وسمتهم كل خير وسلامة، لأن العلماء الربانيين يخشون الله حق خشيته، والاتصال بالعلم وأهل الراسخين فيه يوصل إلى خشية الله تعالى، التي تورث فعل الخيرات واجتناب المنكرات[٢]، وبالتالي سيكون الملازم لهم آمنًا فكريًا، فلا يولد الفكر الصحيح إلا فكرًا صحيحًا إذا التُزم به، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾[٣]، قال السعدي: "فكل من كان بالله أعلم، كان أكثر له خشية، وأوجبت له خشية الله، الانكفاف عن المعاصي، والاستعداد للقاء من يخشاه، وهذا دليل على فضيلة العلم، فإنه داع إلى خشية الله، وأهل خشيته هم أهل كرامته، كما قال تعالى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾[٤]"[٥].

٥) التفكر في مخلوقات الله وإعمال العقل والتدبر: يحث الله ﷻ على التفكر في مخلوقاته العظيمة المحكمة، ويدعو للتدبر والتفكر؛ إذ يقول سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ

---

[١] السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص١٤١.

[٢] السحيباني، الانحراف الفكري، ص٥٠.

[٣] سورة فاطر، الآية: ٢٨.

[٤] سورة البينة، الآية: ٨.

[٥] السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص٦٨٨.

[٦] سورة النحل، الآية: ٧٨.

ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [١]، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٢]، والآيات في ذلك كثيرة، قال ابن كثير: "يقول تعالى منبها على التفكر في مخلوقاته، الدالة على وجوده وانفراده بخلقها، وإنه لا إله غيره ولا رب سواه، فقال: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ﴾[٣] يعني به: النظر والتدبر والتأمل لخلق الله الأشياء من العالم العلوي والسفلي، وما بينهما من المخلوقات المتنوعة، والأجناس المختلفة، فيعلموا أنها ما خلقت سدى ولا باطلا بل بالحق، وأنها مؤجلة إلى أجل مسمى، وهو يوم القيامة"[٤]. وقال السعدي: "وفي هذه الآيات الحث والترغيب على التفكر في مخلوقات الله، والنظر فيها بعين الاعتبار، فإن بذلك تنفتح البصيرة، ويزداد الإيمان والعقل، وتقوى القريحة، وفي إهمال ذلك، تهاون بما أمر الله به، وإغلاق لزيادة الإيمان، وجمود للذهن والقريحة"[٥].

فهذه بعض الآيات التي تدل على الأمن الفكري في كتاب الله الكريم.

المبحث الثاني: الأمن النفسي

معنى الأمن النفسي: أن تكون النفوس آمنة مطمئنة عند وقوع البلاء أو توقعه، بحث لا يظهر عليها قلق معيب أو جزع كثير، ولا اضطراب في الأحوال، أو ترك للأعمال، أو تهويل من شأن المصائب، أو التعظيم لمخططات الأعداء تعظيمًا يفضي إلى اليأس والهوان، والإحباط والانزواء،

---

[١] سورة الجاثية، الآية: ٥.

[٢] سورة الرعد، الآية: ٣.

[٣] سورة الروم، الآية: ٨.

[٤] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣٠٥/٦.

[٥] السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص٣٥٨.

وكذلك أن يكون العبد موصولا بمولاه على وجه حسن، جميل التوكّل، كثير الالتجاء والتبتّل، عظيم الخضوع طويل الخشوع، يحسن الذكر، ويُعمل الفكر، ويديم العمل الصالح[١].

وقد ورد ذكر أنماط من الأمن النفسي في كتاب الله الكريم، فمن ذلك:

١) الإيمان العميق بالله تبارك وتعالى، ومعيته لعباده المؤمنين: ويتمثل ذلك في أمثلة كثيرة في كتاب الله ﷻ منها:

- لما لحق فرعون ومن معه موسى عليه السلام ومن آمن به، كانت ثقة موسى عليه السلام بربه ثقة المؤمن الموقن بنصر الله للمؤمنين، قال سبحانه: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴾[٢]، قال البغوي: ﴿ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ أي: سيدركنا قوم فرعون ولا طاقة لنا بهم. ﴿ قَالَ ﴾ موسى ثقةً بوعد الله إياه: ﴿ كَلَّآ ﴾ لن يدركونا، ﴿ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ يدلّني على طريق النجاة[٣].

- في غزوة الأحزاب حين اشتد الأمر على المؤمنين وأصابهم الكرب ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ

---

[١] د. محمد موسى الشريف، الأمن النفسي، ص٩.

[٢] سورة الشعراء، الآيات: ٦١-٦٦.

[٣] البغوي، معالم التفسير في تفسير القرآن، ١١٥/٦.

ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ [١]، ولكن ثقة المؤمنين بالله تعالى أوجدت عندهم الأمن النفسي والذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾[٢]. قال ابن عطية: "وصف الله تعالى المؤمنين حين رأوا تجمع الأحزاب لحربهم وصبرهم على الشدة وتصديقهم وعد الله تعالى على لسان نبيه"[٣].

وقال السعدي: ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴾ أي: الظنون السيئة، أن الله لا ينصر دينه، ولا يتم كلمته، ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ بهذه الفتنة العظيمة ﴿ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ بالخوف والقلق، والجوع، ليتبين إيمانهم، ويزيد إيقانهم، فظهر – ولله الحمد– من إيمانهم، وشدة يقينهم، ما فاقوا فيه الأولين والآخرين، وعندما اشتد الكرب، وتفاقمت الشدائد، صار إيمانهم عين اليقين، ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾"[٤].

٢) التوكل على الله تعالى: وهو من أجلّ الأعمال وأعظمها أثرًا في الدنيا والآخرة. قال ابن القيم: "والتوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم وهو من أقوى الأسباب في ذلك فإن الله حسبه أي كافية ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه ولا يضره إلا أذى لا بد منه كالحر والبرد والجوع والعطش وأما أن

---

[١] سورة الأحزاب، الآيات: ٩-١١.

[٢] سورة الأحزاب، الآية: ٢٢.

[٣] ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٣٧٧/٤.

[٤] السعدي، مرجع سابق، تيسير الكريم الرحمن، ص٦٥٩.

يضره بما يبلغ منه مراده فلا يكون أبدا"[١]. وقال: "فالقوة كل القوة في التوكل على الله"[٢].

"والتوكل مهم جدا في باب الأمن النفسي؛ لأن العبد إذا قدّم كل ما يستطيع، وبذل ما يقدر أن يبذله من أسباب فإنه لا يبقى له إلا أن يفزع إلى مولاه، ويلقي بنفسه بين يديه، ويطمئن إليه، ويثق تمام الوثوق بأن الله تعالى حافظه ومانعه من أعدائه"[٣].

وقد ورد ذكر التوكل على الله في مواطن كثيرة، فمن ذلك:

١) قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٤]، قال ابن كثير: "﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ أي: الذين توعدهم الناس بالجموع، وخوفوهم بكثرة الأعداء، فما اكترثوا لذلك، بل توكلوا على الله واستعانوا به ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾"[٥].

٢) ذكر الله: وهو من أعظم الأعمال، وأكثرها أثرًا، وأحسنها مآلا، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا

---

[١] ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، ٢/٢٣٩.

[٢] المرجع السابق، ٢/٣٣١.

[٣] الشريف، الأمن النفسي، ص٢٦.

[٤] سورة آل عمران، الآيات: ١٧٣-١٧٥.

[٥] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢/١٦٩.

بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾[١]. قال السعدي: "أي: حقيق بها وحريٌّ أن لا تطمئن لشيء سوى ذكره، فإنه لا شيء ألذ للقلوب ولا أشهى ولا أحلى من محبة خالقها، والأنس به ومعرفته، وعلى قدر معرفتها بالله ومحبتها له، يكون ذكرها له"[٢]. وقال الشعراوي: "يعني: أن الاطمئنان مُستْوعِب لكل القلوب؛ فكل إنسان له زاوية يضطرب فيها قلبه؛ وما أنْ يذكر الله حتى يجدَ الاطمئنان ويتثبتَ قلبه"[٣].

٣) معرفة المبشرات المثبتات والإيمان بها: من أهم الأمور التي تثبّت المؤمن تبشير الله تعالى له وتثبيته، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾[٤]، وقال ﷻ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾[٥]. فيرسل الله لعباده المؤمنين أمورًا مبشرة ومثبتة لهم لتعينهم في طريقهم للآخرة، فهذه المبشرات ضرورية لزرع الأمن النفسي في قلوب العباد، ومن ذلك:

---

[١] سورة الرعد، الآية: ٢٨.

[٢] السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص٤١٧.

[٣] تفسير الشعراوي ، الخواطر، ٧٣٢٧/١٢.

[٤] سورة الفرقان، الآية: ٣٢.

[٥] سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

- قوله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾[١].

قال السعدي: "هذا أمر منه تعالى للمؤمنين، أن ينصروا الله بالقيام بدينه، والدعوة إليه، وجهاد أعدائه، والقصد بذلك وجه الله، فإنهم إذا فعلوا ذلك، نصرهم الله وثبت أقدامهم، أي: يربط على قلوبهم بالصبر والطمأنينة والثبات، ويصبر أجسامهم على ذلك، ويعينهم على أعدائهم، فهذا وعد من كريم صادق الوعد، أن الذي ينصره بالأقوال والأفعال سينصره مولاه، وييسر له أسباب النصر، من الثبات وغيره"[٢].

- ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٣]، قال الطبري: "ولا تهنوا ولا تحزنوا يا أصحاب محمد، يعني ولا تضعفوا بالذي نالكم من عدوكم بأحد من القتل والقروح، عن جهاد عدوكم وحربهم، من قول القائل: وهن فلان في هذا الأمر فهو يهن وهنًا، ﴿وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ ولا تأسوا فتجزعوا على ما أصابكم من المصيبة يومئذ، فإنكم أنتم الأعلون، يعني الظاهرون عليهم، ولكم العقبى في الظفر والنصرة عليهم"[٤].

---

[١] سورة محمد، الآية: ٧.

[٢] السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص٤١٧.

[٣] سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٩، ١٤٠.

[٤] الطبري، جامع البيان، ٧٦/٦.

-

المبحث الثالث: الأمن الاجتماعي

وهو الأمن الذي يحقق الطمأنينة والاستقرار على مستوى الفرد والمجتمع.

وقد عُرّف بأنه: سلامة الأفراد والجماعات من الأخطار الداخلية والخارجية التي قد تتحداهم كالأخطار العسكرية وما يتعرض له الأفراد والجماعات من القتل والاختطاف والاعتداء على الممتلكات بالتخريب أو السرقة[١].

وقد وردت في الكتاب الحكيم آيات تدل على هذا النوع من الأمن، فمن ذلك:

١) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[٢]. قال ابن كثير: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ "أي: من الخوف، لا يرعب أهله، وقد فعل الله ذلك شرعا وقدرًا"[٣].

٢) قول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٤]، قال السعدي: "هذا تأديب من الله

---

[١] عماد محمد التميمي وإيمان محمد التميمي، الأمن الاجتماعي ضبط المصطلح وتأصيله الشرعي، بحث غير منشور مقدم إلى المؤتمر الدولي الذي تقيمه كلية الشريعة في جامعة آل البيت، الأردن، ص٦.

[٢] سورة البقرة، الآية: ١٢٦.

[٣] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤٢٥/١.

[٤] سورة النساء، الآية: ٨٣.

لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق. وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، أهلِ الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها. فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطا للمؤمنين وسرورا لهم وتحرزا من أعدائهم فعلوا ذلك. وإن رأوا أنه ليس فيه مصلحة، أو فيه مصلحة ولكن مضرّته تزيد على مصلحته، لم يذيعوه، ولهذا قال: ﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ ﴾ أي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة وعلومهم الرشيدة"[١].

المبحث الرابع: الأمن المالي والاقتصادي

المال عصب الحياة، ولا يمكن أن تستمر الحياة دون توفر المال، والإسلام يحث على كسب المال بالطرق المشروعة، وإنفاقه في وجوهه المباحة والمستحبة والواجبة، ومعرفة حقوق الله وعباده فيه، وهكذا فالمال قد يكون سبب نجاة العبد أو سبب هلاكه، بحسب كسبه وإنفاقه.

وقد عُرِّف الأمن الاقتصادي بأنه: الثّقة في إمكانية الانتاج والتوزيع بطريقة عادلة وبدون معوقات[٢].

ذكر الله عز وجل في كتابه الحكيم آيات عديدة تدل على الأمن المالي الاقتصادي، فمن ذلك:

١) في قصة يوسف عليه السلام ترشيد للاستهلاك في منتجات المحصولات من الحبوب، إذ يقول الله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿ قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ

---

[١] السعدي، مرجع سابق، تيسير الكريم الرحمن، ص١٩٠.

[٢] معن خالد عبد الله القضاة، منهج القرآن الكريم في تحقيق الأمن الاقتصادي، بحث لاستكمال درجة الماجستير بجامعة اليرموك، الأردن، ١٤١٧هـ، ص٦.

دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴾[١]. قال البغوي: "﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ هذا خبر بمعنى الأمر، يعني: ازرعوا سبع سنين على عادتكم في الزراعة"[٢]. وقال ابن عطية: قوله "﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ﴾ هي إشارة برأي نبيل نافع، بحسب طعام مصر وحنطتها التي لا تبقى عامين بوجه إلا بحيلة إبقائها في السنبل، فإن الحبة إذا بقيت في خبائها انحفظت والمعنى: اتركوا الزرع في السنبل إلا ما لا غنى عنه للأكل، فيجتمع الطعام هكذا ويتركب، ويؤكل الأقدم فالأقدم، فإذا جاءت السنون الجدبة تقوت الناس الأقدم فالأقدم من ذلك المدخر، وادخروا أيضًا الشيء الذي يصاب في أعوام الجدب على قلته، وحملت الأعوام بعضها على بعض حتى يتخلص الناس"[٣].

٢) في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[٤]، قاعدة اقتصادية هامة وهي: اعتماد الذهب والفضة نقدًا ترتبط به التعاملات، وقد ساهم الفكر الاقتصادي في إيضاح مدى أهمية ارتباط النقود بالذهب والفضة، واعتماد النقود النائبة، وما تؤدي إليه هذه السياسة من نتائج إيجابية أهمها –على الإطلاق– منع حدوث التضخم الذي يعتبر الحلقة الرئيسة في سلسلة الاختلال الاقتصادي[٥].

---

[١] سورة يوسف، الآية: ٤٧.

[٢] البغوي، معالم التنزيل، ٤/٢٤٧.

[٣] ابن عطية، المحرر الوجيز، ٣/٢٥٠.

[٤] سورة التوبة، الآية: ٣٤.

[٥] انظر: القضاة، منهج القرآن الكريم في تحقيق الأمن الاقتصادي، ص٢٠.

٣) في القرآن الكريم آيات تدل على إباحة التعاملات الاقتصادية التي تكفل للفرد الأمن الاقتصادي التام إذا كانت المعاملة على الأصول الإسلامية الصحيحة، فمن ذلك:

– البيع: في قوله ﷻ: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾[١]. قال السعدي: " ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ﴾ أي: لما فيه من عموم المصلحة وشدة الحاجة وحصول الضرر بتحريمه"[٢].

– السَّلَم[٣]: في قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾[٤]. قال محمد رشيد رضا: "قالوا: إن المراد بالمداينة السلم، فالله ﷻ لما منع الربا في الآية المتقدمة أذن في السَّلَم في جميع هذه الآية مع أن جميع المنافع المطلوبة من الربا حاصلة في السلم; ولهذا قال بعض العلماء: لا لذة ولا منفعة يوصل إليها بالطريق الحرام إلا وضع الله ﷻ لتحصيل مثل تلك اللذة طريقا حلالا وسبيلا مشروعا ". اهـ. وأقول: إن الفرق بين الربا القطعي المحرم في القرآن وبين السلم أن الربح في السلم ليس من شأنه أن يكون أضعافا مضاعفة كربا النسيئة، ولولا ذلك لم يظهر لتحريم الربا مع إباحة السلم فائدة، إذ ليس في أمور المكاسب والمعايش تعبد لا يعقل"[٥].

---

[١] سورة البقرة، الآية: ٢٧٥.

[٢] السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص١١٦.

[٣] السَّلَم هو: اسمٌ لعقدٍ يوجب الملك للبائع في الثمن عاجلًا، وللمشتري في الثمن آجل. علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، ص١٢٠.

[٤] سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

[٥] محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ١٠٠/٣.

- الرهن[١]: في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾[٢]، قال الشعراوي: "إذن فلم يترك الله مسألة الديْن حتى في السفر فلم يشرِّع فقط للإقامة ولكن الحق قد شرَّع أيضا للسفر ﴿فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ وهكذا الكتابة، والشهادة في الإقامة والرهان المقبوضة في السفر هدفها حماية الإنسان أمام ظروف ضغط المجتمع"[٣].

والحق أن كل المعاملات الاقتصادية المذكورة في القرآن الكريم تدل على اهتمام الشارع الحكيم بإيجاد أمنٍ اقتصاديٍ تتمتع به البشرية جمعاء.

المبحث الخامس: الأمن الغذائي

لا تستقيم حياة الكائن الحي دون أن يتغذى من خيرات الأرض؛ لأن الله تعالى خلق المخلوقات وجعلهم بحاجة لما يتغذون عليه سوى من شاء من عباده كالملائكة، وجعل الغذاء سببًا هامًا لبقائهم، وإذا اختل هذا السبب اختلت الحياة عند الكائنات الحية، وربما انتهت أو ضعفت.

ولذا فقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم آيات تدل على هذا المنحى، وتبيّن أهمية الأمن الغذائي في استقرار الحياة واستمرارها.

---

[١] الرَّهْن هو: حبس الشيء بحقٍّ يمكن أخذه منه، كالدَّيْن. الجرجاني، التعريفات، ص١١٣.

[٢] سورة البقرة، الآية: ٢٨٣.

[٣] تفسير الشعراوي، ١٢٢٥/٢.

وعُرِّف الأمن الغذائي بأنه: الحالة التي تمكن جميع أفراد المجتمع في جميع الأوقات من إمكانية الحصول مادياً واقتصادياً على الغذاء الأساسي الذي يمكنهم من العيش بصحة ونشاط[١].

وأعتقد أن قاعدة هذا النوع من الأمن عند المؤمنين هو قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾[٢]، وقوله ﷻ: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[٣]، ونحو ذلك من الآيات.

أما الآيات الخاصة بالأمن الغذائي في الكتاب الكريم فهي كثيرة ومنها:

١) حث الله عز وجل في كتابه على الزراعة وأثنى عليها في غير ما آية، ومن ذلك:

- قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٤]، قال القرطبي: "في هذه الآية دليل على أن اتخاذ الزرع من أعلى الحرف التي يتخذها الناس والمكاسب التي يشتغل بها العمال، ولذلك ضرب الله به المثل فقال: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ الآية"[٥].

---

[١] د. صديق الطيب منير ، المفاهيم الأمنية في مجال الأمن الغذائي، بحث غير منشور، جامعة الملك سعود بالرياض، كلية علوم الأغذية والزراعة، ص٢.

[٢] سورة فصلت، الآية: ١٠.

[٣] سورة الذاريات، الآية: ٢٢، ٢٣.

[٤] سورة البقرة، الآية: ٢٦١.

[٥] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٣/٣٠٥.

– في كثير من الآيات ورد ذِكْر المحاصيل الزراعية وأنواعها وفوائدها مما يعطي مؤشرًا قويًا على الحث على الاقتداء والمحاكاة، فمن ذلك قول المولى ﷻ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[2].

– كما أن بعض الآيات تربط الزراعة بغيرها، فهناك ما يربط الإنتاج الزراعي بالإنتاج الحيواني، كقوله عز من قائل: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾[3]، كما ربط مراحل الإنتاج الزراعي، من حرث الأرض واستصلاحها وسقيها بالماء ثم بعد ذلك الحصاد والتخزين في قوله تعالى: ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴾[4]، وقوله: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴾[5].

---

[1] سورة الأنعام، الآية: ٩٩.

[2] سورة الرعد، الآية: ٤.

[3] سورة السجدة، الآية: ٢٧.

[4] سورة يوسف، الآية: ٤٧.

[5] سورة عبس، الآيات: ٢٤-٢٧.

٢) حث الله عز وجل على العمل، وأعلى شأنه، كما في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾[١]، وقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾[٢].

٣) نبّه القرآن عقول البشر ولفت أنظارهم إلى استغلال الثروات والموارد الطبيعية، كما في قوله سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[٣]، وقوله عز من قائل: ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾[٤]، وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾[٥].

٤) يحث القرآن الكريم على السعي في الأرض والتكسّب، بل ويجعله عبادةً يُتقرب بها لله تبارك وتعالى، كما في قوله سبحانه: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾[٦].

---

[١] سورة الجمعة، الآية: ١٠.

[٢] سورة الملك، الآية: ١٥.

[٣] سورة إبراهيم، الآيات: ٣٢-٣٤.

[٤] سورة النحل، الآية: ٥.

[٥] سورة الحديد، الآية: ٢٥.

[٦] سورة المزمل، الآية: ٢٠.

الفصل الثالث: مقومات الأمن في القرآن

المبحث الأول: التوحيد

يعتبر توحيد الله بالعبادة أولى الأعمال وأهمها، وهو جامع لخيري الدنيا والآخرة، وبالتالي فهو سبب كل خير، كما أن تركه سبب كل شر.

فإذا أفرد العبد ربه بالعبادة كان ذلك سببًا للأمن الدائم في الدنيا والآخرة, ومصداق ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾[١]، ذكر الفخر الرازي أن الله تعالى شرط في الإيمان الموجب للأمن عدم الظلم[٢].

وقال ابن كثير: "أي: هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك، له، ولم يشركوا به شيئا هم الآمنون يوم القيامة، المهتدون في الدنيا والآخرة"[٣].

وقوله ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[٤]. قال السعدي: "هذا من أوعاده الصادقة، التي شوهد تأويلها ومخبرها، فإنه وعد من قام بالإيمان والعمل الصالح من هذه الأمة، أن يستخلفهم في الأرض، يكونون هم الخلفاء فيها، المتصرفين في تدبيرها، وأنه يمكن لهم

---

[١] سورة الأنعام، الآية: ٨٢.

[٢] محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٤٩/١٣.

[٣] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢٩٤/٣.

[٤] سورة النور، الآية: ٥٥.

دينهم الذي ارتضى لهم، وهو دين الإسلام، الذي فاق الأديان كلها، ارتضاه لهذه الأمة، لفضلها وشرفها ونعمته عليها، بأن يتمكنوا من إقامته، وإقامة شرائعه الظاهرة والباطنة، في أنفسهم وفي غيرهم، لكون غيرهم من أهل الأديان وسائر الكفار مغلوبين ذليلين، وأنه يبدلهم من بعد خوفهم الذي كان الواحد منهم لا يتمكن من إظهار دينه، وما هو عليه إلا بأذى كثير من الكفار، وكون جماعة المسلمين قليلين جدا بالنسبة إلى غيرهم، وقد رماهم أهل الأرض عن قوس واحدة، وبغوا لهم الغوائل"[١].

إلى غير ذلك من الآيات التي تدل على أن الإيمان أبرز مقومات الأمن.

❁❁❁

المبحث الثاني: التقوى

التقوى هي: التحرّز بطاعة الله عن مخالفته وامتثال أمره، واجتناب نهيه [٢].

والتقوى من أبرز مقومات الأمن، وقد ذكر الله عز وجل ذلك في محكم التنزيل:

١) قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾[٣]، وإذا أمّنك رب العالمين فلن ينالك خوف ولا هوان ولا مذلة. قال البغوي: "﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ﴾ أي: اتقى الشرك وأصلح عمله. وقيل: أخلص

---

[١] السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٥٧٣.

[٢] السفاريني، لوامع الأنوار البهية، ٤١١/١.

[٣] سورة الأعراف، الآية: ٣٥.

ما بينه وبين ربه ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ إذا خاف الناس، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي: إذا حزنوا"[١].

٢) وقال سبحانه: ﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾[٢]، فإذا كتب الله رحمته لأي أحد من خلقه فقد أمن أمانًا لا خوف بعده. قال محمد رشيد رضا: "أي: وإذ كان الأمر كذلك فسأكتب رحمتي كتبة خاصة، وأثبتها بمشيئتي إثباتا لا يحول دونه شيء للذين يتقون الكفر والمعاصي والتمرد على رسولهم، ويؤتون الصدقة المفروضة التي تتزكى بها أنفسهم، وغيرها من أركان الدين"[٣].

المبحث الثالث: القرآن

كتاب الله ﷻ فيه الهدى والنور والرحمة والبركة، وهو شامل لخيري الدنيا والآخرة، ولا شك أن ما كان وصفه كذلك كان حريًّا بأن يصدر منه الإيمان والأمن والأمان، وأن يكون النبراس لكل ما يصلح حال البشرية ومآلها.

وفي هذا الكتاب العظيم والنور المبين آيات كثيرة تدل على أنه من أبرز مقومات الأمن والطمأنينة. فمن ذلك:

---

[١] البغوي، معالم التنزيل، ٢٢٧/٣.

[٢] سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

[٣] محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ١٩٣/٩.

١) قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾[١]، قال البغوي (ت ٥١٠هـ): "﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ ﴾ يعني: قرأوا القرآن، ﴿ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾ لن تفسد ولن تهلك، والمراد من التجارة ما وعد الله من الثواب"[٢].

٢) وقوله ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾[٣]. **قال البغوي: " أي: إذا ذكرت آيات العذاب اقشعرت جلود الخائفين لله، وإذا ذكرت آيات الرحمة لانت وسكنت قلوبهم"[٤].**

المبحث الرابع: الإيمان

الإيمان بشموليته ونقائه وصفائه من أبرز ما يعين العبد المؤمن على الأمن وإدخاله في نفسه وإشاعته بين الناس.

وفي القرآن العظيم آيات عديدة تدل على هذا الأمر، ومن ذلك:

١) قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[٥]. قال الشعراوي: "الأمن في الدنيا؛ والأمن بمجموع ما كان في الدنيا مع الأمن في الآخرة"[١].

---

[١] سورة فاطر، الآية: ٢٩.

[٢] البغوي، معالم التنزيل،٦/٤٢٠.

[٣] سورة الزمر، الآية: ٢٣.

[٤] البغوي، معالم التنزيل، ٧/١١٥.

[٥] سورة الأنعام، الآية: ٨٢.

٢) قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٢]. قال ابن كثير: "والمقصود: أن كل فرقة آمنت بالله وباليوم الآخر، وهو المعاد والجزاء يوم الدين، وعملت عملا صالحا، ولا يكون ذلك كذلك حتى يكون موافقا للشريعة المحمدية بعد إرسال صاحبها المبعوث إلى جميع الثقلين، فمن اتصف بذلك ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيما يستقبلونه، ولا على ما تركوا وراء ظهورهم، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾"[٣].

والآيات في ذلك كثيرة وفيرة، فلله الحمد والمنّة.

❁❁❁

---

[١] تفسير الشعراوي، ٣٧٦٣/٦. وقد تقدم كلام السعدي في الآية. انظر ص٤.

[٢] سورة البقرة، الآية: ٦٢.

[٣] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٥٦/٣.

المبحث الخامس: العمل الصالح

العمل الصالح يدل على صلاح قلب عامله، وحُسن نيته، وجميل عاقبته، وكمال متابعته، ولذا كان حريًّا بمن أجاب داعي الله ورسوله أن يرزقه الله الأمن في الدنيا والآخرة. وآيات الدلالة على ذلك كثيرة، منها:

١) قوله ﷻ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[١]، فعلّق الاستخلاف في الأرض والتمكين وتبديل الأمن بعد الخوف هنا على الإيمان والعمل الصالح، فمن آمن وعمل صالحًا أنفذ الله وعده فيه، وقد فعل سبحانه وتعالى ذلك مع الرعيل الأول من المؤمنين، وهي سنة الله ﷻ في عباده[٢].

٢) أثنى الله على صحابة رسول الله ﷺ لامتثالهم لأمر الله ورسوله ﷺ فقال عز من قائل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[٣]. قال البغوي: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ ﴾ الطمأنينة والوقار، ﴿ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ لئلا تنزعج نفوسهم لما يرد عليهم[٤].

المبحث السادس: ذكر الله

ذكر الله هو الحياة، وهو من أجل الأعمال وأقربها لله، وآثرها عنده، وأجزلها مثوبة وأجرًا، كما ورد ذلك في آثار كثيرو وفيرة، ولذا كان الذاكر

---

[١] سورة النور، الآية: ٥٥.

[٢] انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٧٧/٦.

[٣] سورة الفتح، الآية: ٤.

[٤] البغوي، معالم التنزيل، ٢٩٨/٧.

لله أولى الناس بالطمأنينة والأمن والسكينة والرحمة. وفي الذكر الحكيم من ذلك آيات، منها:

١) قول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾[١]. قال ابن جرير: "ألا بذكر الله تسكن وتستأنس قلوب المؤمنين"[٢]. وقال ابن كثير: " أي: تطيب وتركن إلى جانب الله، وتسكن عند ذكره، وترضى به مولى ونصيرا"[٣].

٢) قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴾[٤]، قال القرطبي: "﴿لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ أي من الضلالة إلى الهدى. ومعنى هذا التثبيت على الهداية، لأنهم كانوا في وقت الخطاب على الهداية. ثم أخبر تعالى برحمته بالمؤمنين تأنيسا لهم فقال: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴾"[٥].

---

[١] سورة الرعد، الآية: ٢٨.

[٢] الطبري، جامع البيان، ٥١٨/١٣.

[٣] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤٥٥/٤.

[٤] سورة الأحزاب، الآيات: ٤١-٤٣.

[٥] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٩٩/١٤.

المبحث السابع: الخوف من الله

خشية الله هي مفتاح كل خير، ومغلاق لكل شر، فالذين يخشون الله حق خشيته هم المطمئنون في الدنيا، الآمنون يوم القيامة.

والقرآن يقرر هذه الحقائق في آيات عديدة، منها:

١) قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴾[١].

قال الزمخشري: "يسارعون في الخيرات يحتمل معنيين، أحدهما: أن يراد يرغبون في الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها. والثاني: أنهم يتعجلون في الدنيا المنافع ووجوه الإكرام، كما قال فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة، وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين لأنهم إذا سورع بها لهم، فقد سارعوا في نيلها وتعجلوها"[٢]. وقال السعدي:" ﴿ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ أي: في ميدان التسارع في أفعال الخير، همهم ما يقربهم إلى الله، وإرادتهم مصروفة فيما ينجي من عذابه، فكل خير سمعوا به، أو سنحت لهم الفرصة إليه، انتهزوه وبادروه، قد نظروا إلى أولياء الله وأصفيائه، أمامهم، ويمنة، ويسرة، يسارعون في كل خير، وينافسون في الزلفى عند ربهم ... ﴿ وَهُمْ لَهَا ﴾ أي: للخيرات ﴿

---

[١] سورة المؤمنون، الآيات: ٥٧-٦١.

[٢] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ١٩٢/٣.

سَبِقُونَ ﴾ قد بلغوا ذروتها، وتباروا هم والرعيل الأول، ومع هذا، قد سبقت لهم من الله سابقة السعادة، أنهم سابقون"[١].

٢) وقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴾[٢]، قال الجزائري: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ ﴾ أي رضي الله عنهم بسبب إيمانهم وطاعتهم ورضوا عنهم بسبب ما وهبهم وأعطاهم من النعيم المقيم في دار السلام وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴾ أي ذلك الجزاء المذكور وهو جزاء عظيم إذ جمع لأهله فيه بين سعادة الروح وسعادة البدن معا هو جزاء عبد خاف ربه فلم يعصه حتى لقيه بعد موته، وإن عصاه يوما تاب وإن أخطأ رجع حتى مات وهو على الطاعة لا على المعصية"[٣].

---

[١] السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص٥٥٤.

[٢] سورة البينة، الآيتان: ٧، ٨.

[٣] الجزائري، أيسر التفاسير، ٦٠٢/٥.

المبحث الثامن: تطبيق الشريعة

الله سبحانه وتعالى هو خالق الخلق، وهو الأعلم بما يصلح حالهم في الدنيا والآخرة، والبشر يعتريهم النقص والجهل، فيعتدي بعضهم على بعض، ويظلم بعضهم بعضًا، ولذا فقد شرع لهم الشارع الحكيم شرائع تكون سببًا في تنظيم حياتهم لضمان استمرارها، وجعل رسله وخلفائهم هم المسؤولون عن تنفيذها وتطبيقها، فإذا طُبّقت كما أرادها الله استتب الأمن وزالت أسباب الظلم والاعتداء.

والقرآن الكريم احتوى على شرائع كثيرة أمر الله بتطبيقها على المخالفين من عباده، ومن هذه الشرائع:

١) قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[١]. في هذه الآية شرع الله عز وجل القصاص على القاتل عمدًا إذا ثبت عليه ذلك، ورفض أولياء الدم العفو عنه، وفي هذا الحكم حماية للنفوس ومحافظة على أمنها؛ لأنه إذا عرف من تسول له نفسه بالقتل أنه سيُقتل كان ذلك رادعًا له عن القتل، ولذا قالت العرب: "القتل أنفى للقتل"، فالعلم بهذا الجزاء سبب لحياة النفوس، وإذا اقتُص من القاتل سلم الباقون، وسلم المجتمع من الخوف وساد الأمن والاطمئنان[٢].

٢) قوله عز من قائل: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣].

---

[١] سورة البقرة، الآية: ١٧٩.

[٢] د. إبراهيم سليمان الهويمل، مقومات الأمن في القرآن الكريم، بحث في المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، مجلد١٥، عدد٢٩، ص٣١.

[٣] سورة النور، الآية: ٢.

قال الشعراوي: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فالأمر لا يقف عند حدِّ التعذيب والجَلْد، إنما لا بُدَّ أن يشهد هذا العذاب جماعة من المؤمنين، والطائفة هم الجماعة وأقلها أربعة لماذا؟ قالوا: لأن النفس قد تتحمّل الإهانة إنْ كانت سِراً لا يطَّلع عليها أحد، فلا يؤلمه أنْ تُعذِّبه أشدَّ العذاب بينك وبينه، إنما لا يتحمل أن تشتمه أمام الناس. إذن: فمشاهدة الحدِّ إهانة لصاحبه، وهي أيضاً زَجْر للمشاهد، ونموذج عمليٌّ رادع. لذلك يقولون: الحدود زواجر وجوابر، زواجر لمن شاهدها أي: تزجره عن ارتكاب ما يستوجب هذا الحدَّ، وجوابر لصاحب الحد تجبر ذنبه وتُسقط عنه عقوبة الآخرة"[١].

وإذا انزجر الناس عن الجرائم عمّ الأمن واستتب، واطمئن الناس على أنفسهم وأعراضهم.

---

[١] تفسير الشعراوي، ١٠٢٠٠/١٦.

المبحث التاسع: إقامة الحدود

من مقومات الأمن إقامة حدود الله وهي سبب للأمن.

قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[١].

في هذه الآية شرع الله عز وجل القصاص على القاتل عمدًا إذا ثبت عليه ذلك، ورفض أولياء الدم العفو عنه، وفي هذا الحكم حماية للنفوس ومحافظة على أمنها؛ لأنه إذا عرف من تسول له نفسه بالقتل أنه سيُقتل كان ذلك رادعًا له عن القتل، ولذا قالت العرب: "القتل أنفى للقتل"، فالعلم بهذا الجزاء سبب لحياة النفوس، وإذا اقتُص من القاتل سلم الباقون، وسلم المجتمع من الخوف وساد الأمن والاطمئنان[٢].

قوله عز من قائل: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣]. قال الشعراوي: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فالأمر لا يقف عند حدِّ التعذيب والجَلْد، إنما لا بُدَّ أن يشهد هذا العذاب جماعة من المؤمنين، والطائفة هم الجماعة وأقلها أربعة لماذا؟ قالوا: لأن النفس قد تتحمّل الإهانة إنْ كانت سِراً لا يطَّلع عليها أحد، فلا يؤلمه أنْ تُعذِّبه أشدَّ العذاب بينك وبينه، إنما لا يتحمل أن تشتمه أمام الناس. إذن: فمشاهدة الحدِّ إهانة لصاحبه، وهي أيضاً زَجْر للمشاهد، ونموذج عمليٌّ رادع. لذلك يقولون: الحدود زواجر وجوابر،

---

[١] سورة البقرة، الآية: ١٧٩.

[٢] انظر: الهويمل، مقومات الأمن في القرآن الكريم، ص٣١.

[٣] سورة النور، الآية: ٢.

زواجر لمن شاهدها أي: تزجره عن ارتكاب ما يستوجب هذا الحدَّ، وجوابر لصاحب الحد تجبر ذنبه وتُسقط عنه عقوبة الآخرة"[١].

المبحث العاشر: تحقيق العدل

العدل بين الناس مما اتفق على فضله جميع البشر، على اختلاف أديانهم ومذاهبهم، سواء طبقوا ذلك أم لا، كما جاءت كل الشرائع بترسية قواعد العدل وأسسه، ونشره بين الناس، وبه قامت السماوات، وصلُح عليه أمر الدنيا والآخرة.

وفي كتاب الله آيات كثيرة تأمر بالعدل، وتدل على أنه واجب شرعي، وأساس لقيام الحياة، وطريق للنجاة يوم المعاد، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٢].

ومن هذه الآيات الكريمات:

١) قول الله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[٣]. قال محمد رشيد رضا في هذه الآية والتي تليها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ...﴾ الآية: "هاتان الآيتان هما أساس الحكومة الإسلامية، ولو لم ينزل في القرآن غيرهما لكفتا المسلمين في ذلك؛ إذا هم بنوا جميع الأحكام عليهما"[٤].

---

[١] تفسير الشعراوي، ١٠٢٠٠/١٦.

[٢] سورة الشعراء، الآيتان: ٨٨، ٨٩.

[٣] سورة النساء، الآية: ٥٨.

[٤] محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ١٣٦/٥.

٢) وقول الله تعالى وتقدّس: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[١]، قال رشيد رضا: "ولم يكتفِ بالتحذير من عدم العدل مهما كان سببه والنية فيه، بل أكد أمره بقوله: ﴿ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ أي قد فرضت عليكم العدل فرضا لا هوادة فيه، اعدلوا هو – أي العدل المفهوم من " اعدلوا " – أقرب لتقوى الله ; أي لاتقاء عقابه وسخطه باتقاء معصيته، وهي الجور الذي هو من أكبر المعاصي ; لما يتولد منه من المفاسد ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ الخبرة: العلم الدقيق الذي يؤيده الاختبار ; أي لا يخفى عليه تعالى شيء من أعمالكم ظاهرها وباطنها، ولا من نياتكم وحيلكم فيها، وهو الحكم العدل القائم بالقسط فاحذروا أن يخزيكم بالعدل على تركك العدل، فقد مضت سنته العادلة في خلقه بأن جزاء ترك العدل وعدم إقامة القسط في الدنيا هو ذل الأمة وهوانها، واعتداء غيرها من الأمم على استقلالها، ولجزاء الآخرة أذل وأخزى، وأشد وأبقى"[٢].

قال ابن تيمية : "كل عمل يؤمر به فلا بد فيه من العدل، فالعدل مأمور به في جميع الأعمال والظلم منهي عنه نهيا مطلقا، ولهذا جاءت أفضل الشرائع والمناهج بتحقيق هذا كله وتكلميه؛ فأوجب الله العدل لكل أحد على كل أحد في كل حال"[٣].

---

[١] سورة المائدة، الآية: ٨.

[٢] محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ٢٢٧/٦.

[٣] أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، الرد على المنطقيين، ص٤٢٥.

المبحث الحادي عشر: الإصلاح والدعوة إلى الله

الإصلاح والدعوة إلى الله عز وجل هي سبيل الأنبياء وطريقهم، ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[١]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[٢].

وقد اختص الله سبحانه هذه الأمة بخاصية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[٣]. قال الجزائري: "وصفهم بما كانوا به خير أمة فقال تأمرون بالمعروف وهو الإسلام وشرائع الهدى التي جاء بها نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتنهون عن المنكر وهو الكفر والشرك وكبائر الإثم والفواحش، وتؤمنون بالله. وبما يتضمنه الإيمان بالله من الإيمان بكل ما أمر تعالى بالإيمان به من الملائكة والكتب والرسل والبعث الآخر والقدر"[٤].

ويقول الله ﷻ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[٥]. قال ابن عطية: ذم الله تعالى هذه الفرقة الملعونة بأنهم ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ﴾ أي إنهم كانوا يتجاهرون بالمعاصي وإن نهى منهم ناهٍ فعن غير جدٍ، بل كانوا لا يمتنع الممسك منهم عن مواصلة العاصي ومؤاكلته وخلطته[٦]. وقال

---

[١] سورة هود، الآية: ٨٨.

[٢] سورة فصلت، الآية: ٣٣.

[٣] سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

[٤] الجزائري، أيسر التفاسير، ١/٣٦٠.

[٥] سورة المائدة، الآية: ٧٩.

[٦] ابن عطية، المحرر الوجيز، ٢/٢٢٤.

القرطبي: " ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ﴾ أي لا ينهى بعضهم بعضا، ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ذمٌ لتركهم النهي، وكذا من بعدهم يذم من فعل فعلهم"[١].

إذا لو قام أهل الخير بالدعوة إلى الله والإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لترابط المجتمع وكان كالبناء المتماسك المتين يسوده الأمن والطمأنينة والسكينة، يأمن كل فرد من أفراده على ممتلكاته، فكل المجتمع بأفراده يحرسه[٢].

---

[١] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٦/٢٥٣.

[٢] الهويمل، مقومات الأمن في القرآن الكريم، ص٢٨.

الفصل الرابع: موانع الأمن

المبحث الأول: الشرك والكفر

الشرك والكفر أعظم ذنب عصي الله به، وهو أنكر المنكرات، وأعظم ظلم يظلم الإنسان به نفسه ومن حوله، ومن وصايا لقمان الحكيم لابنه التي حكاها الله عنه: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾[١].

وفي كتاب الله الكريم آيات كثيرة تدل عظيم إثم الشرك والكفر، وأثرهما السيء على الناس والمجتمع ككل في ذهاب الأمن، فمن ذلك:

١) قول الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨١ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾[٢]. فقد فُسِّر الظلم هنا بالشرك، قال ابن كثير: "أي: هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك، له، ولم يشركوا به شيئا هم الآمنون يوم القيامة، المهتدون في الدنيا والآخرة"[٣]. ومفهوم المخالفة هنا: أن من تلبس بالشرك فلا أمن لكونه ارتكب هذا الذنب العظيم.

٢) قال الحق تعالى وتقدس: ﴿ سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٤]، وقال: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ

---

[١] سورة لقمان، الآية: ١٣.

[٢] سورة الأنعام، الآية: ٨١، ٨٢.

[٣] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢٩٤/٣.

[٤] سورة آل عمران، الآية: ١٥١.

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾[١]، قال ابن جرير: "سأرعب قلوب الذين كفروا بي أيها المؤمنون منكم، وأملؤها فرقا حتى ينهزموا عنكم، فاضربوا فوق الأعناق"[٢]. والمعنى أن شركهم بالله كان سببًا في إرعابهم وخوفهم.

٣) وقال المولى ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾[٣]. قال السعدي: " ﴿ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ﴾ وهو الخوف الشديد، الذي هو جند الله الأكبر، الذي لا ينفع معه عدد ولا عدة، ولا قوة ولا شدة، فالأمر الذي يحتسبونه ويظنون أن الخلل يدخل عليهم منه إن دخل هو الحصون التي تحصنوا بها، واطمأنت نفوسهم إليها، ومن وثق بغير الله فهو مخذول، ومن ركن إلى غير الله فهو عليه وبال، فأتاهم أمر سماوي نزل على قلوبهم، التي هي محل الثبات والصبر، أو الخور والضعف، فأزال الله قوتها وشدتها، وأورثها ضعفا وخورا وجبنا، لا حيلة لهم ولا منعة معه، فصار ذلك عونا عليهم"[٤].

---

[١] سورة الأنفال، الآية: ١٢.

[٢] ابن جرير، جامع البيان، ٦٩/١١.

[٣] سورة الحشر، الآية: ٢.

[٤] السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص٨٤٨.

المبحث الثاني: كفر النعمة

تقدم أن الإيمان والعمل من أسباب استتباب الأمن وانتشاره، ومما لا شك فيه أن من ضمن ذلك الشكر على نعم الله بالقول والفعل.

وعلى هذا فإن جحود النعمة وإنكارها سبب لمنع الأمن وحلول الخوف.

ومن الآيات الدالة على ذلك:

قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾[1].

قال ابن جرير: "مثل الله مثلا لمكة التي سكانها أهل الشرك بالله هي القرية التي كانت آمنة مطمئنة وكان أمنها أن العرب كانت تتعادى ويقتل بعضها بعضا ويسبي بعضها بعضا، وأهل مكة لا يغار عليهم، ولا يحاربون في بلدهم، فذلك كان أمنها"[2].

وفي قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴾[3]. ذكر أهل التفسير ان المعنيين بذلك هم كفار قريش الذين كان عاقبة أمرهم أن أذاقهم الله لباس الخوف والجوع بسبب صنيعهم، وذلك حين هاجر المصطفى ﷺ إلى المدينة فألقى الله

---

[1] سورة النحل، الآية: ١١٢.

[2] ابن جرير، جامع البيان، ٣٨٢/١٤.

[3] سورة إبراهيم، الآيتان: ٢٨، ٢٩.

سبحانه الرعب في قلوبهم من سطوة سراياه وجيوشه، وجعل كل مالهم في دمار وسفال حتى فتح الله مكة لرسول الله ﷺ وللمؤمنين[١].

المبحث الثالث: ظن الجاهلية في حق الله

ويقصد به الظن السيء الذي قد يظنه بعض المسلمين في حق الله تعالى، تقصيرًا منهم.

قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾. قال ابن كثير (ت ٧٧٤هـ): "﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ يعني: أهل الإيمان واليقين والثبات والتوكل الصادق، وهم الجازمون بأن الله سينصر رسوله ويُنجِز له مأموله، ولهذا قال: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ يعني: لا يغشاهم النعاس من القلق والجزع والخوف، ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ كما قال في الآية الأخرى: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾[٢]، وهكذا هؤلاء، اعتقدوا أن المشركين لما ظهروا تلك الساعة أنها الفيصلة، وأن الإسلام قد باد وأهلُه، هذا شأن

---

[١] انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٥٠٨/٤، ٥٠٩.

[٢] سورة الفتح، الآية: ١٢.

أهل الريب والشك إذا حصل أمرٌ من الأمور الفظيعة، تحصل لهم هذه الظنون الشنيعة"[١].

وهذا الظن السيء هو ديدن أهل الكفر والنفاق، يقول المولى: ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[٢]. قال ابن جرير (ت ٣١٠هـ): "وليعذب المنافقين والمنافقات، بفتح الله لك يا محمد، ما فتح لك من نصرك على مشركي قريش، فيكبتوا لذلك ويحزنوا، ويخيب رجاؤهم الذي كانوا يرجون من رؤيتهم في أهل الإيمان بك من الضعف والوهن والتولي عنك في عاجل الدنيا، وصلي النار والخلود فيها في آجل الآخرة ﴿ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ﴾ يقول: وليعذب كذلك أيضا المشركين والمشركات ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ﴾ أنه لن ينصرك وأهل الإيمان بك على أعدائك، ولن يظهر كلمته فيجعلها العليا على كلمة الكافرين به، وذلك كان السوء من ظنونهم التي ذكرها الله في هذا الموضع، يقول تعالى ذكره: على المنافقين والمنافقات، والمشركين والمشركات الذين ظنوا هذا الظن دائرة السوء، يعني دائرة العذاب تدور عليهم به"[٣].

ومن هنا عرفنا أن ظن السوء بالله تبارك وتعالى سبب لفقدان الأمن وحلول العذاب.

---

[١] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٤٥/٢.

[٢] سورة الفتح، الآية: ٦.

[٣] ابن جرير، جامع البيان، ٢٤٨/٢١.

المبحث الرابع: التمرد على شريعة الله

ينتهج أكثر البشر عدم الإيمان بشريعة الله ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ [1]، ولا ينتهي موقفهم عند هذا بل يعاندون رسل الله ويكفرون بشرائعه.

والقرآن الكريم مليء بالقصص الذي يتبيّن من خلاله عند هؤلاء المعاندين، وما قاله لهم أنبياؤهم، وما ردوا به عليهم، ثم ما حصل لهم بسبب هذا التمرد، وزوال الأمن من أنفسهم وبلدانهم، وحلول عذاب الله عليهم في نهاية المطاف.

ومن أشهر هذه القصص قصة فرعون مع موسى عليه السلام، إذ تكررت هذه القصة في آيات كثيرة، وذكر الله تفاصيل هذه القصة بأسلوب بديع، مفصّل في مواضع، ومختصر في أخرى.

فمن ذلك الحوار الذي دار بين موسى عليه السلام وفرعون: ﴿ قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ١٨ وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩ قَالَ فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٢٠ فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكۡمٗا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢١ وَتِلۡكَ نِعۡمَةٞ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنۡ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٢٢ قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ٢٤ قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ٢٥ قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٦ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ٢٧ قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢٨ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ٢٩ قَالَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ ٣٠ قَالَ فَأۡتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ

---

[1] سورة يوسف، الآية: ١٠٣.

﴾[١] إلى أخر هذه الآيات الكريمة، ويستمر سرد القصة في الصراع بين الحق والباطل، حتى تأتي النهاية الحتمية ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴾[٢]. فلما عاند هؤلاء القوم شرع الله وكذّبوا رسله زال الأمن الذي كانوا ينعمون به، وتغشاهم الخوف، ونزل عذاب الله –والعياذ بالله– عليهم فأفناهم كأن لم يغنوا في أرضهم ويتمتعوا فيها.

ولا يقتصر التمرد والعناد على من لم يؤمن بالرسل والأنبياء، بل يوجد من آمن بهم ولكنه عاند شرع الله وحكمه، وقد حذّر الله تعالى من هذا بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾[٣]. قال السعدي: "أي: لا ينبغي ولا يليق، ممن اتصف بالإيمان، إلا الإسراع في مرضاة الله ورسوله، والهرب من سخط الله ورسوله، وامتثال أمرهما، واجتناب نهيهما، فلا يليق بمؤمن ولا مؤمنة ﴿إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا ﴾ من الأمور، وحتَّما به وألزما به ﴿أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ أي: الخيار، هل يفعلونه أم لا؟ بل يعلم المؤمن والمؤمنة، أن الرسول أولى به من نفسه، فلا يجعل بعض أهواء نفسه حجابًا بينه وبين أمر الله ورسوله. ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ أي: بيِّنًا، لأنه ترك الصراط المستقيم الموصلة إلى كرامة الله، إلى غيرها، من

---

[١] سورة الشعراء، الآيات: ١٨-٣١.

[٢] سورة الشعراء، الآيات: ٦١-٦٦.

[٣] سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

الطرق الموصلة للعذاب الأليم، فذكر أولا السبب الموجب لعدم معارضته أمر الله ورسوله، وهو الإيمان، ثم ذكر المانع من ذلك، وهو التخويف بالضلال، الدال على العقوبة والنكال"[١]. إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن معاندة شرع الله توجب العقاب للمعاندين وزوال أمنهم إلى خوف وعذاب ونكال.

المبحث الخامس: الظلم

تقدم أن الإشراك بالله عُبّر عنه بأن أشد أنواع ظلم العبد لنفسه ولغيره، وهو ظلم العبد لأمر ربه سبحانه وتعالى.

والمعنى المراد هنا هو ظلم الناس الحقوق بين بعضها البعض.

والظلم مرتعه وخيم، وعاقبته سيئة في الدنيا والآخرة، إذا لم يرجع الظالم عن ظلمه ويرد الحق لأهله.

فمن ذلك قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[٢]. قال السعدي: "﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ ﴾ أي: إنما تتوجه الحجة بالعقوبة الشرعية ﴿ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ ﴾ وهذا شامل للظلم والبغي على الناس، في دمائهم وأموالهم وأعراضهم. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ أي: موجع للقلوب والأبدان، بحسب ظلمهم وبغيهم"[٣].

---

[١] السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص٦٦٥.

[٢] سورة الشورى، الآيتان: ٤١، ٤٢.

[٣] ابن جرير، جامع البيان، ص٧٦٠.

المبحث السادس: البَطَر والكِبْر

البطر والكبر خلقان ذميمان، وقد ورد التحذير منهما في آيات وأحاديث، أما الآيات فسيأتي شيء منها، وأما الأحاديث فمنها ما رواه عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة، قال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس»[١].

وفي كتاب الله الكريم آيات تذم البطر والكبر وتبين عاقبتهما، فمن ذلك:

قول الله تعالى حكاية عن لقمان: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾[٢]، قال ابن كثير: "يقول: لا تعرض بوجهك عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك، احتقارا منك لهم، واستكبارا عليهم ولكن ألن جانبك، وابسط وجهك إليهم ... وقوله: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ أي: جذلا متكبرا جبارا عنيدا، لا تفعل ذلك يبغضك الله؛ ولهذا قال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ أي: مختال معجب في نفسه، فخور: أي على غيره"[٣].

وقال عز وجل: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾[٤]. قال ابن جرير: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ يقول تعالى ذكره: ولا

---

[١] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، ح٩١، ٩٣/١.

[٢] سورة لقمان، الآيتان: ١٨، ١٩.

[٣] ابن كثير، مرجع سابق، تفسير القرآن العظيم، ٣٣٧/٦-٣٣٩.

[٤] سورة الإسراء، الآيتان: ٣٧، ٣٨.

تمش في الأرض مختالا مستكبرا ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾ يقول: إنك لن تقطع الأرض باختيالك ... ﴿وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ بفخرك وكبرك، وإنما هذا نهي من الله عباده عن الكبر والفخر والخيلاء، وتقدم منه إليهم فيه معرفهم بذلك أنهم لا ينالون بكبرهم وفخارهم شيئا يقصر عنه غيرهم"[١].

وإذا أبغض الله شيئًا وكرهه عاقب فاعله إذا لم يتب، فأي أمان لأحد يفعل ما يبغض الله؟!

المبحث السابع: تفشي المعاصي والمنكرات

مما لا شك فيه أن المعاصي والذنوب تغضب علام الغيوب، سبحانه وتعالى؛ لأن الله عز وجل قد نهى عنها، والملك الجبار إذا عُصي غضب، فهو المنعم المتفضل فواجب أن لا يُعصى، ولا يُخالف أمره، ولا يتجاوز نهيه.

فإذا كانت المعاصي والذنوب كذلك فلابد أن لها أثرًا وخيمًا، ووقعًا عظيمًا، وقد بين القرآن الكريم هذه الآثار في آيات عديدة، ومن هذه الآيات:

قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٢]. قال السعدي: "أي: استعلن الفساد في البر والبحر، أي: فساد معايشهم ونقصها وحلول الآفات بها، وفي أنفسهم من الأمراض والوباء وغير ذلك، وذلك بسبب ما قدمت أيديهم من الأعمال الفاسدة المفسدة بطبعها"[٣].

---

[١] ابن جرير، جامع البيان، ٥٩٧/١٤.

[٢] سورة الروم، الآية: ٤١.

[٣] السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص٦٤٣.

ومنه قوله عز وجل: ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1]. قال ابن كثير: "يخبر تعالى عن حلمه وإمهاله وإنظاره العصاة الذين يعملون السيئات ويدعون إليها، ويمكرون بالناس في دعائهم إياهم وحملهم عليها، مع قدرته على ﴿يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ أي: من حيث لا يعلمون مجيئه إليهم، ... وقوله ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ ﴾ أي: في تقلبهم في المعايش واشتغالهم بها، من أسفار ونحوها من الأشغال الملهية"[2].

والآيات في ذلك كثيرة وفيرة، فلا مناص من زوال الأمن إذا كثرت المعاصي وعمت بها البلوى، وهذه من سنن الله في عباده.

المبحث الثامن: الأمن من مكر الله

الله عز وجل رحيم بعباده، عطوف عليهم، رفيق بهم إذا امتثلوا لأمره واجتنبوا نهيه، وأطاعوا رسله، ولكن إذا عصوا أمره، وركبوا ما نهى عنه، وكذّبوا رسله، خرجوا من مجال رحمته، واستوجبوا سخطه، نعوذ بالله من سخطه وعذابه.

ولذا حذر الله عز وجل عباده أن يأمنوا مكره سبحانه، فقال عز وجل: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم

---

[1] سورة النحل، الآيات: ٤٥-٤٧.

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤/٥٧٥.

بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[١].

وقال تعالى وتقدس: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾[٢].

قال السعدي: ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ﴾ حيث يستدرجهم من حيث لا يعلمون، ويملي لهم، إن كيده متين،﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ فإن من أمن من عذاب الله، فهو لم يصدق بالجزاء على الأعمال، ولا آمن بالرسل حقيقة الإيمان، وهذه الآية الكريمة فيها من التخويف البليغ، على أن العبد لا ينبغي له أن يكون آمنا على ما معه من الإيمان. بل لا يزال خائفا وجلا أن يبتلى ببلية تسلب ما معه من الإيمان، وأن لا يزال داعيا بقوله: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» وأن يعمل ويسعى، في كل سبب يخلصه من الشر، عند وقوع الفتن، فإن العبد – ولو بلغت به الحال ما بلغت – فليس على يقين من السلامة"[٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾[٤].

وقال: ﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[٥].

---

[١] سورة الأعراف، الآية: ٩٩.

[٢] سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

[٣] السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص٢٩٨.

[٤] سورة يونس، الآية: ٢١.

[٥] سورة النحل، الآية: ٢٦.

إذا من أمن مكر الله وقع في الخوف في دنياه وآخرته.

المبحث التاسع: الإشاعات والإرجاف

نشر الإشاعات والإرجاف أمر منهي عنه في الشريعة الغراء، وقد ذم الله عز وجل ذلك الأمر في غيرما موضع من كتابه العظيم، ومن ذلك:

قوله سبحانه: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[١].

قال ابن كثير: "إنكار على من يبادر إلى الأمور قبل تحققها، فيخبر بها ويفشيها وينشرها، وقد لا يكون لها صحة"[٢].

وقال السعدي: "هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق. وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، أهلِ الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها. فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطا للمؤمنين وسرورا لهم وتحرزا من أعدائهم فعلوا ذلك. وإن رأوا أنه ليس فيه مصلحة أو فيه مصلحة ولكن مضرته تزيد على مصلحته، لم يذيعوه"[٣].

---

[١] سورة النساء، الآية: ٨٣.

[٢] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢/٣٦٥.

[٣] السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص١٩٠.

وقال تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾[١].

قال ابن كثير: "ثم قال تعالى متوعدا للمنافقين، وهم الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر: ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ قال عكرمة وغيره: هم الزناة هاهنا ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ يعني: الذين يقولون: "جاء الأعداء" و"جاءت الحروب"، وهو كذب وافتراء، لئن لم ينتهوا عن ذلك ويرجعوا إلى الحق ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: أي: لنسلطنك عليهم. وقال قتادة، رحمه الله: لنحرشنك بهم. وقال السدي: لنعلمنك بهم"[٢].وما ذلك إلا لأنهم أخافوا الناس وأرعبوهم فاستحقوا إن يخيفهم الله ويغري بهم رسول الله والمؤمنين ليجعلوهم نكالا لمن لم يعتبر.

المبحث العاشر: الخيانة

الخيانة أمر اجتمعت الأديان والمذاهب على ردّه وقُبْحه، ولا يرضى حتى الخائن أن يُطلق عليه هذا اللفظ، وذلك لما لها من وقع سيء، وأثر ذميم بين الناس.

والخيانة من أسباب الخوف وذهاب الأمن، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾[٣].

قال ابن جرير: "يقول تعالى ذكره: وإما تخافن يا محمد من عدو لك بينك وبينه عهد وعقد أن ينكث عهده وينقض عقده ويغدر بك، وذلك هو

---

[١] سورة الأحزاب، الآية: ٦٠.

[٢] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤٨٣/٦.

[٣] سورة الأنفال، الآية: ٥٨.

الخيانة والغدر. ﴿فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ يقول: فناجزهم بالحرب، وأعلمهم قبل حربك إياهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم بما كان منهم من ظهور آثار الغدر والخيانة منهم، حتى تصير أنت وهم على سواء في العلم بأنك لهم محارب، فيأخذوا للحرب آلتها، وتبرأ من الغدر. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ الغادرين"[١]. فالخيانة نشرت الخوف وتسببت في إزالة الأمن في المجتمع الإسلامي.

قال الآلوسي: "﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ﴾ بيان لأحكام المشرفين إلى نقض العهد أثر بيان أحكام الناقضين له بالفعل، والخوف مستعار للعلم، أي: وإما تعلمن من قوم معاهدين لك نقض عهد فيما سيأتي بما يلوح لك منهم من الدلائل ﴿فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ﴾ أي فاطرح إليهم عهدهم، ... ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍۚ﴾ أي على طريق مستو وحال قصد بأن تظهر لهم النقض وتخبرهم إخبارا مكشوفا بأنك قد قطعت ما بينك وبينهم من الوصلة، ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد كيلا يكون من قبلك شائبة خيانة أصلا"[٢].

وقد جاء التحذير منها لما لها من عواقب وخيمة في الدنيا والآخرة، يقول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[٣].

قال السعدي: "يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يؤدوا ما ائتمنهم الله عليه من أوامره ونواهيه، فإن الأمانة قد عرضها الله على السماوات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان

---

[١] ابن جرير، جامع البيان، ٢٣٨/١١.

[٢] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ٢١٩/٥.

[٣] سورة الأنفال، الآية: ٢٧.

ظلوما جهولافمن أدى الأمانة استحق من الله الثواب الجزيل، ومن لم يؤدها بل خانها استحق العقاب الوبيل، وصار خائنا لله وللرسول ولأمانته، منقصا لنفسه بكونه اتصفت نفسه بأخس الصفات، وأقبح الشيات، وهي الخيانة مفوتا لها أكمل الصفات وأتمها، وهي الأمانة"[١].

فما أقبح الخيانة، وأسوأ أثرها في إزالة الأمن في المجتمع، والتسبب بالخسران في الدنيا والآخرة.

---

[١] السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص٣١٩.

الفصل الخامس: ثمرات تحقيق الأمن

مما لا شك فيه أن لانتشار الأمن بين الأفراد والمجتمعات ثمرات يانعات؛ إذا الأمن يبدأ ببذرة طيبة ثم يكون شجرة عالية طيبة، ولابد لهذه الشجرة أن تؤتي ثمارها، ويستفيد من هذه الثمار الأفراد والمجتمعات التي تعاهدت هذه الشجرة بالري والمتابعة، ولكل مجتهد نصيب.

المبحث الأول: الاستقرار في الحياة

أول ثمار الأمن الاستقرار في الحياة والعيش الطيب الرغيد، وقد بين الله تعالى ذلك فامتن على أهل مكة بأنهم يعيشون عيشًا رغيدا بسبب ما رزقهم من الأمن في بلادهم فقال عز وجل: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾[2]. بل إن هذا العيش ملازم لهم خارج البلد الحرام، في سفرهم، فقال في سورة قريش: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤ ﴾.

قال ابن الجوزي: "وذلك أنهم كانوا آمنين بالحرم، إن حضروا حَمَاهُم، وإن سافروا قيل: هؤلاء أهل الحرم، فلا يَعْرِضُ لهم أحد"[3].

---

[1] سورة القصص، الآية: ٥٧.

[2] سورة العنكبوت، الآية: ٦٧.

[3] ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ٤/٤٩٤.

المبحث الثاني: أداء العبادات والشعائر باطمئنان

إذا أمن المسلمون على حياتهم كان ذلك داعيًا لهم لعبادة الله باطمئنان وأمان، وقد قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾[١]، قال الصابوني: "﴿ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ أي هذا الإله الذي أطعمهم بعد شدة جوع، وآمنهم بعد شدة خوف، فقد كانوا يسافرون آمنين لا يتعرض لهم أحد، ولا يُغير عليهم أحد لا في سفرهم ولا في حضرهم "[٢]. وقال الجزائري: "﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ ﴾ بما هيأ لهم من أسباب ﴿وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ كذلك، ولِمَ يعدلون عن عبادته إلى عبادة الأصنام والأوثان، فالله أحق أن يعبدوه إذ هو الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف بما ألقى في قلوب العرب من احترام الحرم وسكانه وتعظيمه وتعظيمهم، فتمكنوا من السفر إلى خارج بلادهم والعودة إليها في أمن وطمأنينة"[٣].

فإذا استتب الأمن استطاع الناس أداء عبادتهم لربهم بطمأنينة وخشوع.

وهذا حال المؤمنين، كما قال عز وجل: ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾[٤].

---

[١] سورة قريش، الآيتان: ٣، ٤.

[٢] محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ٣/٥٨٠.

[٣] الجزائري، أيسر التفاسير، ٥/٨١٦.

[٤] سورة الحج، الآية: ٤١.

المبحث الثالث: سكينة القلب واطمئنان النفس

وهذا الأمر من الضروريات حال استتباب الأمن، فينعم الناس بحياتهم، وتسكن قلوبهم، وتطمئن نفوسهم.

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾[١]. فإذا كفر الناس زال أمنهم، وإذا استتب الأمن سكنت نفوسهم واطمأنت قلوبهم.

قال الطبري: "قول الله تعالى ذكره ومثل الله مثلا لمكة التي سكانها أهل الشرك بالله هي القرية التي كانت آمنة مطمئنة وكان أمنها أن العرب كانت تتعادى ويقتل بعضها بعضا ويسبي بعضها بعضا، وأهل مكة لا يغار عليهم، ولا يحاربون في بلدهم، فذلك كان أمنها وقوله: ﴿مُّطْمَئِنَّةً ﴾ يعني: قارة بأهلها، لا يحتاج أهلها إلى النجع كما كان سكان البوادي يحتاجون إليها ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا ﴾ يقول: يأتي أهلها معايشهم واسعة كثيرة، وقوله: ﴿ مِّن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ يعني: من كل فج من فجاج هذه القرية، ومن كل ناحية فيها"[٢].

---

[١] سورة النحل، الآية: ١١٢.

[٢] ابن جرير، جامع البيان، ٣٨٢/١٤.

المبحث الرابع: البركة العامة

إذا حلَّ الأمن حلّت البركة، وعمَّ الخير وانتشر.

وقد بين الله ذلك في كتابه فقال عز من قائل حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[١].

قال السعدي: "أي: وإذ دعا إبراهيم لهذا البيت، أن يجعله الله بلدا آمنا، ويرزق أهله من أنواع الثمرات، ثم قيد عليه السلام هذا الدعاء للمؤمنين، تأدبا مع الله، إذ كان دعاؤه الأول، فيه الإطلاق، فجاء الجواب فيه مقيدا بغير الظالم، فلما دعا لهم بالرزق، وقيده بالمؤمن، وكان رزق الله شاملا للمؤمن والكافر، والعاصي والطائع"[٢].

المبحث الخامس: جريان الأرزاق

يرتبط الإيمان بالأمن، كما مر معنا في أكثر من موضع، فإذا آمن الناس أمنوا وفتح الله عليهم بركات السماوات والأرض، وعبّر القرآن عن ذلك بقول الله عز وجل: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[٣].

وقال سبحانه: ﴿ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٤].

---

[١] سورة البقرة، الآية: ١٢٦.

[٢] السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص٦٦.

[٣] سورة الأعراف، الآية: ٦٩.

[٤] سورة الأحزاب، الآية: ٣١.

قال السعدي: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ أي: أولم نجعلهم متمكنين ممكنين في حرم يكثره المنتابون ويقصده الزائرون، قد احترمه البعيد والقريب، فلا يهاج أهله، ولا ينتقصون بقليل ولا كثير، والحال أن كل ما حولهم من الأماكن، قد حف بها الخوف من كل جانب، وأهلها غير آمنين ولا مطمئنين، فَلْيَحْمَدُوا ربهم على هذا الأمن التام، الذي ليس فيه غيرهم، وعلى الرزق الكثير، الذي يجيء إليهم من كل مكان، من الثمرات والأطعمة والبضائع، ما به يرتزقون ويتوسعون. ولْيَتَّبِعُوا هذا الرسول الكريم، ليتم لهم الأمن والرغد"[1].

المبحث السادس: الاستخلاف والتمكين

خلق الله العباد لعبادته، واستخلفهم في الأرض ليعمروها، ووعد من آمن منهم بالاستخلاف والتمكين، وربط ذلك باستبدالاهم بعد الخوف بالأمن، فقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[2].

قال السعدي: "هذا من أوعاده الصادقة، التي شوهد تأويلها ومخبرها، فإنه وعد من قام بالإيمان والعمل الصالح من هذه الأمة، أن يستخلفهم في الأرض، يكونون هم الخلفاء فيها، المتصرفين في تدبيرها، وأنه يمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وهو دين الإسلام، الذي فاق الأديان كلها، ارتضاه لهذه الأمة، لفضلها وشرفها ونعمته عليها، بأن يتمكنوا من إقامته، وإقامة

---

[1] السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص٦٢٠.

[2] سورة النور، الآية: ٥٥.

شرائعه الظاهرة والباطنة، في أنفسهم وفي غيرهم، لكون غيرهم من أهل الأديان وسائر الكفار مغلوبين ذليلين، وأنه يبدلهم من بعد خوفهم الذي كان الواحد منهم لا يتمكن من إظهار دينه، وما هو عليه إلا بأذى كثير من الكفار، وكون جماعة المسلمين قليلين جدا بالنسبة إلى غيرهم، وقد رماهم أهل الأرض عن قوس واحدة، وبغوا لهم الغوائل"[١].

المبحث السابع: ضمان أداء الحقوق والأمانات

من ثمرات الأمن أن تؤدى الحقوق والواجبات، وتؤدى العهد والأمانات، وقد أوضح ذلك العليم بعباده فقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ﴾[٢].

قال الجزائري: "﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾: فلا حاجة إلى الرهن. فليؤد المؤتمن أمانته: أي: فليعط الدين الذي أؤتمن عليه حيث تعذرت الكتابة ولم يأخذ دائنه منه رهناً على دينه"[٣].

وهكذا فمع وجود الأمن بين الجانبين أدى ذلك أداء الحقوق وأداء الأمانات، وهو أثر جميل من آثار الأمن.

المبحث الثامن: انتشار الدعوة

للأمن وانتشاره أثر في انتشار الدعوة بين الناس، وعلى العكس إذا خاف الناس من جبروت الطاغية وظلم الظلمة أن يفتنوهم عن دينهم انحسرت الدعوة تأثرًا بذلك، وفي قول الله تعالى: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن

---

[١] السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٥٧٣.

[٢] سورة البقرة، الآية: ٢٨٣.

[٣] الجزائري، أيسر التفاسير، ٢٧٧/١.

قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾[١] أكبر دليل على ذلك فخوف الناس من بطش فرعون أثر على الدعوة وانتشارها.

قال ابن كثير: "﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ ﴾ أي: وأشراف قومهم أن يفتنهم"[٢].

فزوال الأمن وحلول الخوف سبب انحسارًا للدعوة خوفًا من الفتنة والعذاب، فلما هلك الطاغية انتشر الخير والحق وآمن الناس بدين الله ودخلوا فيه أفواجًا.

المبحث التاسع: حفظ الضرورات الخمس

الضرورات الخمس هي: الدِّين، والنفس، والعرض، والعقل، والمال.

وقد جاء الإسلام بحفظها، وجعلها في مقدمة اهتماماته وأولاها جل رعايته وعنايته[٣].

وإذا استتب الأمن وانتشر كان ذلك أدعى لحفظ هذه الضرورات، فالدين والنفس والعرض والعقل محفوظة لقوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[٤].

---

[١] سورة يونس، الآية: ٨٣.

[٢] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢٨٨/٤.

[٣] انظر: الشاطبي، الموافقات، ٣١/١.

[٤] سورة النور، الآية: ٥٥.

وقال: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾[١].

والمال محفوظ، قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ﴾[٢].

وكل ما ذكره الله تعالى في كتابه من آيات الأمن فإنها تصب في هذا الباب، وفي مجال حفظ هذه الضرورات الخمس.

المبحث العاشر: السفر والتنقل دون خوف

يستطيع المرء في حال الأمن أن يسافر ويتنقل دون خوف على نفسه وماله وأهله.

وفي كتاب الله آيات تدل على ذلك:

قال الله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ﴾[٣]. والمعنى هنا: إذا أحصرتم من الوصول لبيت الله الحرام، فإذا زال الخوف بزوال سبب الحصر فأتموا نسككم[٤].

كما أمتن الله على قريش بأنهم يتنقلون ويسافرون دون خوف لما أمنوا، قال تعالى: ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢

---

[١] سورة البقرة، الآية: ١٢٥.

[٢] سورة البقرة، الآية: ٢٨٣.

[٣] سورة البقرة، الآية: ١٩٦.

[٤] انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٣٨٦/٢.

فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾ ﴾، قال ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ): "وذلك أنهم كانوا آمنين بالحرم، إن حضروا حَمَاهُم، وإن سافروا قيل: هؤلاء أهل الحرم، فلا يَعْرِضُ لهم أحد"[١].

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾[٢].

❁❁❁❁

[١] ابن الجوزي، زاد المسير، ٤/٤٩٤.

[٢] سورة يوسف، الآية: ٩٩.

الخاتمة

الحمد لله الذي من عليَّ بإتمام هذه العجالة، وقد ظهر لي منها من النتائج ما يلي:

١) الأمن هام جدا لاستمرار الحياة، وضروري لحفظ الضرورات الخمسة التي جاء الإسلام بحفظها وأولاها جل اهتمامه.

٢) يعدّ الإيمان هو أساس الأمن الفكري، بل هو أساس كل أنواع الأمن.

٣) ذكر القرآن الأمن النفسي في آيات عديدة، واعتبره من أهم مقومات الحياة.

٤) أرسى الإسلام دعائم الأمن الاجتماعي، ووضع أسسا قويمة لبث الأمن في المجتمعات.

٥) لم يهمل القرآن الكريم العناية بالأمن المالي والاقتصادي، وبتحقيق الأمن في هذا الجانب، وكل ذلك من منطلق أن المال عصب الحياة، ولا تستقيم إلا به.

٦) بما أن الله قد جبل الكائنات الحية على التغذّي لتبقى حيةً فقد وردت آيات تصب في جانب حفظ الأمن الغذائي، وتبيّن أهميته، وترشد البشر إلى كيفية حفظ هذا الأمن وتفعيله.

٧) أشار الكتاب الكريم إلى مجموعة من مقومات الأمن في الحياة التي لا تستقيم إلا به.

٨) بيّن الكتاب العزيز مجموعة من موانع الأمن التي تتسبب في انعدام الأمن وانتشار الخوف وزوال النِّعَم.

٩) تطرّق القرآن الكريم إلى بيان ثمرات تحقيق الأمن في مناحي الحياة، وأشار إلى أثر هذه الثمرات ووقعها.

والحمد لله أولا وأخيرا ....

فهرس المصادر والمراجع

- إبراهيم سليمان الهويمل، مقومات الأمن في القرآن الكريم، بحث في المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، مجلد١٥، عدد٢٩.
- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، (دار الدعوة).
- إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات، تحقيق: سلمان آل مشهور، ط١، (دار ابن عفان، ١٤١٧هـ).
- أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ط٥، (المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ١٤٢٤هـ).
- أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (الرياض، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية).
  الرد على المنطقيين، (بيروت، دار المعرفة).
- أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩هـ).
- أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: د. عبد المحسن التركي، وشعيب الأرناؤوط وآخرين، ط١، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ).
- أحمد بن محمد الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (بيروت، المكتبة العلمية).
- إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تفسير القرآن العظيم، ط٢، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، (الرياض، دار طيبة، ١٤٢٠هـ).
- الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط١، (دمشق، دار القلم، بيروت، الدار الشامية، ١٤١٢هـ).

- الحسين بن مسعود البغوي، معالم التفسير في تفسير القرآن، تحقيق: عثمان جمعة ضميرية وغيره، ط٤، (الرياض، دار طيبة، ١٤١٧ه).
- الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق: د. مهدي المخرومي، ود. إبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال).
- خليل حسن، مفهوم الأمن في القانون الدولي العام، بحث منشور على الصفحة الشخصية للمؤلف على الشبكة العنكبوتية.
- سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت، صيدا، المكتبة العصرية).
- سليمان عبد الله أبا الخيل، الأمن الفكري حقيقته وسبل حمايته، ط١، (المؤلف، ١٤٣١هـ).
- صديق الطيب منير محمد، المفاهيم الأمنية في مجال الأمن الغذائي، بحث غير منشور، جامعة الملك سعود بالرياض، كلية علوم الأغذية والزراعة.
- عبد البصير علي الحقرة، الثقافة الإسلامية ودورها في تحقيق الأمن الفكري في المجتمع، بحث متاح على موقع جامعة أم القرى على الرابط https://uqu.edu.sa
- عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط٢١، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ)،
- عبد الحميد بن عبد الرحمن السحيباني، الانحراف الفكري وأثره في الأمن في ضوء القرآن الكريم، بحث منشور في مجلة العدل، العدد ٤١، محرم ١٤٣٠هـ.

- عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ط١، تحقيق عبد الرزاق المهدي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ).
- عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ).
- عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، ط١، (المدينة المنورة، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ١٤٢٣هـ).
- علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء، ط١، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ).
- عماد محمد رضا التميمي وإيمان محمد رضا التميمي، الأمن الاجتماعي ضبط المصطلح وتأصيله الشرعي، بحث غير منشور مقدم إلى المؤتمر الدولي الذي تقيمه كلية الشريعة في جامعة آل البيت، الأردن.
- المبارك بن محمد ابن الاثير الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، (بيروت، المكتبة العلمية، ١٣٩٩ه)
- محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، (بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت).
- محمد بن أحمد السفاريني، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، ط٢، (دمشق، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، ١٤٠٢ه).

- محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ).
- محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أحاديث رسول الله وسننه وأيامه، تحقيق محمد زهير الناصر، ط١، (دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ) مصور عن الطبعة السلطانية، بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.
- محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط١، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ود. عبد السند يمامة، (القاهرة، دار هجر، ١٤٢٢هـ).
- محمد رشيد رضا، تفسير المنار، (القاهرة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٩٠م).
- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ط١، (القاهرة، دار الصابوني، ١٤١٧هـ).
- محمد بن عمر فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ط٣، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).
- محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط٣، (بيروت، دار الفكر، ١٤١٢هـ).
- محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي ، الخواطر، (القاهرة، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م).
- محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ط٣، (بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ).
- محمد موسى الشريف، الأمن النفسي، ط٢، (جدة، دار الأندلس

الخضراء، ١٤٢٤هـ).

- محمود بن عبد الله الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط١، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).
- محمود بن عمر جار الله الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط٣، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ).
- معن خالد عبد الله القضاة، منهج القرآن الكريم في تحقيق الأمن الاقتصادي، إشراف د. محمد جبر الألفي، بحث لاستكمال درجة الماجستير بجامعة اليرموك، الأردن، ١٤١٧هـ.
- ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء)، تحقيق: إحسان عباس، ط١، (بيروت، دار الغرب، ١٤١٤هـ).
- صفحة منظمة طلاب العلوم السياسية على الفيسبوك متاح على الرابط https://ar-ar.facebook.com/permalink.
- موقع الدكتور محمد الحضيف متاح على www.alhodaif.com.